

## الباب الثالث

### أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

#### الإمام الثاني لمجتمع الإباضية في البصرة (1)

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي مولى بني تميم، وحسبما أورده الجاحظ فهو مولى عروة بن أديّة أحد إخوة أبي بلال مرداس، عاش في البصرة وتلمذ على جابر وصحار العبدي [كذا] ، وجعفر السمّك (2)، وبعض المؤرخين يرون بأنّه قد عاصر الصحابة أنفسهم؛ الذين قابلهم أستاذه جابر، وأنّه كان أحد رواة الحديث عن الصحابة أمثال جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والسيدة عائشة، ومن المحتمل أنّه قد حظي بملازمة جميع أولئك الصحابة أو بعض منهم ولكن ليس لفترات طويلة كما كان الحال بالنسبة لجابر بن زيد، أمّا أساتذته الأساسيون الذين تلقى العلم عنهم فهم جعفر بن السمّك، وصحار العبدي، ولقد كرّس حياته لتلقّي العلم وتعليمه، فقد ذكر أنّه أمضى أربعين سنة أخرى يُعلّم ممّا تعلّم وما من شكّ في أنّه قد أسهم إسهاماً كبيراً في ترسيخ المبادئ والتعاليم الإباضية وفي التطور التنظيمي للحركة وفي انتشارها السريع في اليمن، وعمّان، وخراسان، وفي شمال إفريقيا، وقميين [كذا] به، وقد قدّم هذه الإسهامات الكبيرة أن يكون عالماً متمكناً ورجل دولة موهوب، ولقد ظهرت قدراته الفذة هذه في الدور المتميّز الذي قام به زعما متفوقا وناجحا للحركة الإباضية في الحقبة الزمنية الأخيرة لحكم الأمويين وبداية حكم العباسيين.

1 - في الواقع إنّ أبا عبيدة لم يكن إماماً للإباضية في البصرة وحسب، بل كان إماماً روحياً لهم في كلّ مكان وجدوا فيه حينئذ كي تدلّع ذلك الوقائع التاريخية. (م،ن)

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

ذكر الشَّماخي بأنَّه قد توفِّيَ في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (136هـ-158هـ)، وكما أشرنا آنفاً فقد امتدَّ عمره ثمانين سنة، قضى نصفها طالب علم، والنصف الآخر في تعليم الناس، وعليه يمكن القول بأنَّ أبا عبيدة قد عاش في الفترة الممتدَّة من نهاية النصف الأوَّل من القرن الهجري الثاني، كما يمكن القول بأنَّه قد أصبح زعيماً للحركة الإياضية بعد خروجه من السجن سنة: 95هـ، أي بعد سنتين من تراخي وفاة جابر بن زيد<sup>(1)</sup>.

وسعيًا لمزيد من الفهم لشخية أبي عبيدة المميزة ولتوضيح تلك الخصائص التي ميَّزت شخصيته، لابدَّ من الإشارة إلى التأثير الذي أسبغته عليه تتلمذه أيدي العديد ممَّن تلقَّى عنهم العلم وأولَّهم هو: عروة بن أديَّة، وعروة هذا إلى جانب خبرته الحكيمة في فهم ما وراء النزاعات الدينيَّة والسياسيَّة التي أفرزتها الحروب التي نشبت بين علي ومعاوية، وهو أوَّل من اعترض على مسألة التحكيم، كما حارب ضدَّ جيوش علي في معركة النهروان، وقُتِل بعد ذلك على أيدي عبيد الله بن زيَّاد، وقد وصفه خادمه قائلاً لعبيد الله: «ما قدَّمت له فراشاً بليل قط، ولا قدَّمت له طعاماً في نهار قطعه»<sup>(2)</sup>، كناية عن أن عروة كان كثير الصيام، دائم القيام، وبالنظر إلى أنَّ أبا عبيدة قد كان تابعاً لذلك الرجل الورع الحازم؛ فلا بدَّ أنَّه قد تأثر به كثيراً. أمَّا أستاذه الآخر فهو صحار العبدي، وكان خطيباً بليغاً مجيداً، في العقيدة، ملماً بعلم الأنساب ومؤلفاً لكتاب في الأمثال. وأمَّا أستاذه جابر بن زيد فقد كان هو الآخر عالماً في الفقه والعلوم الشرعيَّة، ومن علماء الحديث البارزين، وكان من تلقَّى أبي عبيدة العلوم على أيدي هؤلاء العلماء الكبار أن اكتسب ممَّا كان يتمتعون به من درجات علميَّة رفيعة متعدِّدة، وخصائص خلقية حميدة، ولا غرو أن كان في شخصه عبداً ورعاً زاهداً<sup>(3)</sup>، وخطيباً لامعاً<sup>(4)</sup>، ومعلماً متمكناً، وعالماً في العقيدة وفي الفقه وفي علم الحديث، هذا إلى جانب قدراته الفدَّفي التنظيم وتصريف الأمور.

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

في مجال العقيدة اتَّبَعَ أبو عبيدة المنهج نفسه الذي جابر بل أسهم بآراء مستجدة لتوضيح وإرساء مفهوم عقيدة التوحيد على مذهب الإباضية لمواجهة الخلاف والتناقضات التي استجدت في هذا المجال، ولعلَّ من بعض ما تعلمه من أستاذه صغار العبدى قد كان له تأثيره عليه في هذا الشأن، وفي مجال آرائه الفقهية فقد التزم أيضًا بخط سلفه: جابر بن زيد الذي كان فخوراً به حيث<sup>(1)</sup> يقول: «من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شيء من الدين، وقد منَّ الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص)، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام؛ وهم الراسخون في العلم وعلى آثارهم اقتفينا، وعلى سيرتهم اعتمدنا، وعلى مناهجهم سلطنا»<sup>(2)</sup>.

هكذا كان أساس الطريقة التي اتبعتها أبو عبيدة هو الالتزام المطلق بتعاليم الصحابة وتابعيهم، والبعد كلُّ البعد عن مخالفتهم، وبالنسبة له فإنَّ اتِّبَاع السنة هو الدليل على استقامة المسلم وصدق إيمانه، ولقد روي عن ابن عباس أنَّه قال: «إنَّه إذا سمع حديثاً يدعو اتِّبَاع الأخلاق الرفيعة وأنَّ الخير في اتِّبَاعها، فإن كان الحديث فعله كما سمعه فإنَّ له أجرين: أجر حفظه للحديث وأجر علمه بمقتضاه. وإذا لم يسمع الحديث فإنَّه يحصل على الأجر نفسه؛ {وإن الله لا يضيع أجر المحسنين}، ويكون هذا الجزاء الذي ناله من اتِّبَاعِهِ للحديث وامتناله لأمر الله لا يضيع إلا إذا كان علمه ذلك قد شابه كفر<sup>(3)</sup>. وبعد أن استشهد بما أورده عن ابن عباس علق قائلاً: <sup>(4)</sup> «إعلم أنَّ المسلم إذا منحه الله نفساً مؤمنة فإنَّها توجَّهه نحو طاعة الله سبحانه وتعالى، وكلِّما أتى بما أمره الله سبحانه وتعالى كان قريباً منه لأنَّه قد شعر بأنَّ الله يراقبه وسوف يجازيه الله الجزاء الأوفى، وأمَّا إذا كان الإنسان يملك نفساً

- 
- 1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلِّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلِّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.

خبينة فسيصبح مطروداً من رحمة الله، سيء العبادة، ويسوء جميع علاقاته الشك والريبة، فكلما سمع حديثاً يحثه على العمل الصالح خالفه بحجة القياس قائلاً: الحديث ليس صحيحاً لأن رأيه الذي يوافق هواه ورغبته لا يكون مُمتثلًا لطاعته»<sup>(1)</sup>. ويتضح ممّا ورد ذكره أنّ أبا عبيدة كان من أهل تالحديث شديد التمسك بالسنة النبوية الشريفة، وكان أثر ذلك بالغاً في شخصيته إذ تخرّج عالماً في الفقه وفي العقيدة، وكان ضدّ الاجتهاد بالرأي الشخصي في الإدلاء بالأراء الشرعية، إذ عندما أخبر بأنّ أهل عُمان يجتهدون بالرأي، قال: «ما نجوا من الفروج والدماء»<sup>(2)</sup>، وتعلّم أتباعه منه أن لا يقبلوا رأياً إلا إذا كان عن رواية أو أثر عن شيوخ الإباضية، ويروي أنّ امرأة واسمها أم شهاب قد زارها عبد الله بن عبد العزيز وصالح بن كثير وهما من طلاب أبي عبيدة، فسألتهما رأياً شرعياً في مسألة ماء، فأجابها صالح، فسألته عن سنده في رواية الرأي الذي قال به، فأجابها بأنّ ذلك هو رأيه الشخصي، فقالت له: «أضرب به عرض الحائط، فأنا لا أحتاج إليه»<sup>(3)</sup>.

وفي عهد أبي عبيدة تكثّف الاهتمام بنظام الولاية والبراءة على المستويين النظري والعملي أكثر ممّا كان في عهد جابر بن زيد، وربّم نجد في الحالتين التاليتين ما يوضّح الفرق في المواقف بين الزعيمين:

1- يروى أنّ رجلاً إباضياً واسمه الحسن بن عبد الرحمن قد طلب يدام [كذا] عقان وهي إباضية مذهب أبيها، وعندما استشارها أبوها لم تقبل الزواج من ذلك الرجل، ورأى جابر أن لا تتزوج ضدّ رغبتها، وعندما تقدّم لها رجل مسلم من غير الإباضية وقبلت به، أمر جابر أباهما بتزويجها إيّاه<sup>(4)</sup>.

2- أبو عبيدة اتّخذ موقفاً مغايراً في حالة مماثلة، فقد ذكر أنّه أشاح

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

بوجهه عن أحد الاتباع الإباضيَّة لأنَّ الأخير كان قد زوَّج ابنته لمسلم غير إباضيِّ، وإعراضه ذلك كان تعبيراً عن غضبه وعدم رضاه عن ذلك، وتلميذه أبو المؤرج يقول بهذا الشأن: «نكره أبو عبيدة نكاح المنافق: المسلمة، وهو ممَّن أحلَّ الله نكاحه من المسلمات كما كره عمر نكاح من أحلَّ الله نكاحه من المشركات وكره الأخذ بالرخصة في ذلك مخافة الفتنة لهنَّ والردَّة عن بصيرتهنَّ من غير أن يكون ذلك حراماً.<sup>(1)</sup>

ويبدو أنَّ تشدُّد أبي عبيدة في ذلك الموقف كان بهدف عزل مجتمع الإباضيَّة عن الجماعات الإسلاميَّة الأخرى حتَّى لا يتأثَّروا بالأراء المتباينة والاختلافات المتعدِّدة ممَّا كانت تعجُّ به ساحة الأُمَّة الإسلاميَّة في تلك الفترة، والسبب الآخر قد يكون من منطلق حكمة زعيم الجماعة وهو يخطِّط لتأسيس الإمامة الإباضيَّة، فكان إهتمامه بالحفاظ على سرِّيَّة الحركة وتنظيماتها إهتماماً دقيقاً فوق الاعتبارات الفرديَّة، وبالتالي فإنَّ الوجود داخل محيط الإباضيَّة لمن لم يكن ملتزماً بمنهجهم في تلك الفترة الحرجة هو وجود غير مرغوب فيه، ولذا فإنَّ نظام الولاية والبراءة قد كانت له أهميَّة كبرى من هذا المنطلق<sup>(2)</sup>.

من ناحية أخرى نجد أنَّ مجمل النشاط العملي لأبي عبيدة قد غطَّى مجلین رئيسيَّین:

1- إهتمامه ورعايته بتنظيم الإباضيَّة.

2- تدريب طلابه مبادئ وأسس التعاليم الإباضيَّة.

لقد كان أبو عبيدة أستاذاً مُجيداً داخل معهد الرِّي الذي لم يكن أكثر من كونه كهف خبيئ في موقع ما بمدينة البصرة<sup>(3)</sup>، وهناك كان يقوم بتدريس أولئك النفر من الطلاب الإباضيَّة الذين قاموا فيما بعد بأكثر الأدوار أهميَّة وفعالية في تطوير ونشر التعاليم الإباضيَّة وفي تحقيق النجاح السياسي

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

## للتنظيم.

لقد كانت البصرة المركز الرئيسي للحركة الإباضية حتى نهاية القرن الهجري الثاني، والأسباب وراء ذلك عديدة، منها:  
أ- عاش الزعماء الدينيون للحركة في البصرة، وقاموا بكافة أنشطتهم التعليمية فيها.

ب- في البصرة وجدت الحركة دعماً كاملاً من مجموعة كبيرة من أقرباء جابر الأزديين، ومن عائلة آل المهلب ذات المكانة والجاه.

ج- كان موقع البصرة موقعاً مركزياً بالنسبة للأقطار الآسيوية الإسلامية، وهو الأمر الذي تيسرت معه الاتصالات بين مركز الحركة في البصرة وبين فروعها في خراسان، وعمان واليمن، وفي مكة المكرمة.

إلى ذلك فقد اضطلع التنظيم في البصرة بزعامة أبي عبيدة ومجلس شيوخ الإباضية بمسؤولية التخطيط لسياسة الحركة، وإعداد نخبة متفهمة في الدين من الأتباع لذين تم إيفادهم في مهام عمل لكل الأقطار الإسلامية للدعوة لمبادئهم وتعاليمهم، وكان من بين أولئك الرسل الإباضية من البصرة: سلامة بن سعد (سعيد)، وقد بعث لنشر الدعوة في شمال إفريقيا وذلك في نهاية القرن الهجري الأول وبداية القرون الثاني<sup>(1)</sup>، وقد ورد عن الإمام عبد الوهّاب عن أبيه عبد الرحمن بن رستم أنه قال: «أول رجل حمل المذهب الإباضي إلى المغرب هو سلمة بن سعد فقد جاء إلينا ونحن في القيروان مع رفيقه عكرمة مولى ابن عباس ممتطيان راحلة واحدة وعليها مؤنثهما، فسلمة بن سعد كان ناشراً للعقيدة الإباضية، بينما كان عكرمة ينشر العقيدة الصفرية، يقول عبد الرحمن: «سمعت سلمة يقول: أتمنى أن تظهر الحركة الإباضية ولو حتى يوماً واحداً من الصباح إلى الليل، ولا أبالي إن كان رأسي سيقطع بعد ذلك»<sup>(2)</sup>، هذا ويبدو أن مهمّة سلامة بن سعد في شمال إفريقيا قد كانت مخطّطة لتحقيق ثلاثة أهداف:

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

1- نشر تعاليم مذهب الإباضية.

2- اختيار أعضاء قياديين من الأقطار التي تبت فيها الدعوة وإرسالهم إلى البصرة لتلقي المزيد من العلوم والصقل [كذا].

3- إجراء دراسات عن كتب لتلك الأقطار وموافاة زعيم الإباضية بها في البصرة.

لقد كانت إحدى ثمار رحلة سلامة بن سعد إلى شمال إفريقيا فيما بين 105هـ - 107هـ، أن تم اختيار مجموعة من حملة العلم إذ [كذا] أوفدوا إلى البصرة حيث تلقوا العلم على أبي عبيدة لفترة خمس سنوات<sup>(1)</sup>، وفي غضون تلك الفترة تم إيفاد عدة رسل لمختلف الأقطار لتحقيق المهام نفسها التي قام بها سلامة بن سعد، وتبع ذلك إعداد حملة العلم وإرسالهم إلى اليمن وحضرموت وخراسان وعمان<sup>(2)</sup>.

هذا وبالرغم من أن تنظيم الحركة الإباضية قد كان في تطور مستمر ونشاط مكثف إلا أن كل ذلك كان في إطار من السرية والتحفظ الشديد، وقد عرفت هذه المرحلة من تاريخ الحركة الإباضية بمرحلة الكتمان<sup>(3)</sup>، وكما ذكرنا آنفاً فإن القمع والبطش الذي مارسه<sup>(4)</sup> حكام بني أمية ضد الحركات المعارضة لهم، قد أجبر على مباشرة نشاطهم وتنفيذ خططهم في سرية تامة لكي يسلموا من طغيان أولئك الحكام وعمالهم لذا فقد تم تأسيس مجالس خاصة تعمل في مواقع خفية لمتابعة مهامهم الدينية والتعليمية.

ويبدو أن فكرة إقامة تلك المجالس السرية قد بدأ تنفيذها في وقت مبكر من عهد ولاية زياد بن أبي سفيان، فقد أوردت المصادر التاريخية أن عورة بن أدية قد قبض عليه في سراديب وهو يتعبد<sup>(5)</sup>، وهذه المخابئ السرية قد خصصت أيضاً لعقد اجتماعات أعضاء الحركة لمناقشة شؤون

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - كذا في الأصل، والصواب: «الذين مارساه».

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

تنظيمهم وما يستجدُّ من أمور إلى جانب اتخاذها أماكن للعبادة والذكر والتعلُّم، ولقد ذكرها أبو بلال مرداس<sup>(1)</sup>، (\*) [كَدًا] ، وهذا يؤكد أنَّها قد كانت قائمة وتباشر وظائفها منذ عهد جابر بن زيد (\*) [كَدًا] ومن هذه المعلومات يتَّضح أنَّه قد كانت هناك ثلاثة أنواع من المجالس:

1- مجالس الشيوخ أو زعماء الحركة: وفيها تتمُّ مناقشة خطط التنظيم، واجتماعات هذه المجالس عادة ما تتمُّ ليلاً، والأعضاء صغار السنَّ غير مسموح لهم بالحضور إلا إذا كانوا محلَّ الثقة التامة، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل، يروي نزرًا يسيرًا بهذا المعنى<sup>(2)</sup> فيقول: «بلغنا ذات ليلة أنَّ في منزل حاجب مجلسًا للذكر، وكان المشائخ لا يحضرون معهم بالليل الفتيان قال المليح، فقلت لرجل من أهل عُمان: انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلَّهم يأذنون لنا، قال: فسرنا حتَّى جئنا المنزل فأذن لنا، فوجدناه عنده [كَدًا] المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشائخ قال، فقال لي حاجب: يا مليح اذهب أنت وهذا العُماني إلى بلج ابن عقبة فأخبراه بمكاننا وقولا له يأتينا. قال: فسرنا إليه فأعلمناه فجاء. قال المليح: فصلَّينا العثمَّة ثمَّ أخذنا في المذاكرة قال: ربَّما قام أحدهم قائمًا فيتكلم ما شاء الله ثمَّ يجلس فيقوم الآخر كذلك حتَّى أضاء الصبح. قال المليح: فما رأيت أحدًا بعد تلك الليلة، ولا رأيت قبلها متكلمًا قائمًا في مجلس، قال: وكان شعيب بن عمر من أفاضل الفتيان يومئذٍ وكانت أخته تحت حاجب قال: فجاءه تلك اللية فأخبره به حاجب فقال: ربُّوه، فقالوا له: يا أبا مولود سبحان الله جاء من السماح في هذه الساعة وترئوه فقال: ربُّوه فرئوه. قال: وكان بين منزله ومنزل حاجب نحو ثلاثة أميال»<sup>(3)</sup>.

2- النوع الثاني من المجالس هي مجالس مفتوحة لكافة الاتباع،(or) [أو] الأعضاء الذين يحضرون ليستمعوا إلى أحاديث الشيوخ في موضوعات

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كُُلِّ الاقتباسات وربَّما للتأكد من مطابقة النصِّ المقتبس مع النصِّ المترجم للإنجليزية.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

دينية عامّة، هذا ولم تكن هناك برامج خاصة بمثل هذه المجالس وإنّما يعتمد مسار الحديث على إمكانيات وتمكّن القائمين بالإشراف عليها وعلى نوعية نزعتهم في الحديث، فإذا ما رأيت أحد الأتباع وقد ارتسمت على وجهه سمات الإذعان والطاعة فذلك يعني أنّه قد حضر أحد مجالس أبي سفيان قُنْبُرٌ وُخْرًا، ذلك لأنّ مجالس هذا الفقيه كانت تتمّ بالتضرُّع إلى الله، وبتلاوة القرآن، وبتخويف الناس من عقاب الله وعذاب النار<sup>(1)</sup>، هذا وفي بعض الأحيان يقوم منظّم المجالس بتوجيه المتحدّثين للتركيز على موضوع معيّن للفت انتباه الحاضرين إليه<sup>(2)</sup>، ولقد عقّدت مجالس عدّة من هذا النوع في البصرة في تلك الفترة، ولقد ذكر بعض المؤرّخين الإباضيّة مجالس أبي الحرّ عليّ بن الحصين، والتي تعود أنّ يعقدها يومي الاثنين والخميس<sup>(3)</sup>، وكذلك مجالس أبي سفيان قُنْبُرٌ ومجالس عبد الملك الطويل<sup>(4)</sup>، وكان يسمح للنساء لحضور هذا النوع من المجالس حيث كانت تخصّص لهنّ غرف منفصلة لجلوسهن<sup>(5)</sup>، كذلك بعض النساء كنّ يأذنّ باستعمال منازلهنّ لعقد تلك المجالس<sup>(6)</sup>.

3- والنوع الثالث من المجالس كانت تعقد لطالب العلم المنتظمين ممّن كانت لهم الرغبة في دراسة التعاليم والمبادئ الإباضيّة، ولتلقّي التدريب ليكونوا رسل دعوة، ولقد ذكر أنّ أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة قد كان يدرّس طلابه في سرايب سرّيّة، ويجلس أحد الأفراد عند مدخله كحارس ينبئهم بقدم أي شخص وذلك بتحريكه أو جذبته بسلسلة حديديّة، وعند ذلك يوقف أبو عبيدة محاضرتة ويتظاهر بانشغاله بصنع القفّاف وهكذا لقّب بالقفّاف<sup>(7)</sup>، والذين يؤنن لهم بحضور تلك المجالس هم الأعضاء في الحركة

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 6 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 7 - موضوع الإحالة غير موجود.

فقط، فإذا بذر من أحدهم أيّ انحراف فإِنَّهُ يفصل عنها<sup>(1)</sup>، ولقد كان الأعضاء على عهد جابر وأبي عبيدة حريصين حذيرين بشأن أنشطتهم تلك، وفي بعض الظروف كانوا يضطرونّ لارتداء أزياء نسائية ويتكفرون على هيئة تجار وعمّال وهم يسعون لحضور اجتماعات مجالسهم، وذلك حتّى لا تلحظهم أعين أعدائهم<sup>(2)</sup> إذ حدث في عهد زياد وابنه أن داهم أعوانهم مرّات عديدة تلك المنازل التي كانت تعقد فيها المجالس واعتقل من كان فيها من أعضاء، هذا وعلى الرغم من ذلك فإنّ نشاط الإباضية في مجمله كان يتمّ من خلال فعاليات المجالس المذكورة<sup>(3)</sup>.

ويبدو أنّ فكرة المجالس المشار إليها قد انتقلت من البصرة إلى شمال إفريقيا بواسطة حملة العلم، فقد ذكر يانّ أبا خليل الديركلي وقد كان من حملة العلم، قال مخاطباً تلامذته: «سيروا إلى الحلقة اقصوها حيث ما كانت يا كسالي فإنّ رجلاً قد سار من الجبل إلى فزان وإلى غدامسة، وإلى الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستقيذه»<sup>(4)(5)</sup>، وقد في أنّه كان يعني شخصه هو بالضمير في كلامه، لكنّه قطعاً كان يقصد تشجيع طلاب العلم وتحفيزهم على الحضور، وفي كلّ الأحوال فقد أنشئت تلك المجالس في مرحلة الكتمان لمين سلامة أتباع الإباضية من بطش الحكام، وتحقّق أنّها كانت ذات أهميّة بالغة لاستمراريّ تكوين وتماسك مجتمع الإباضية، فقد كانت نبضاً حيويّاً لنشر دعوتهم في تلك المرحلة.

وبناء على ما تقدّم يمكن القول بأنّ الحركة الإباضية تحت زعامة أبي عبيدة مسلم قد كانت حركة دينية ثقافية وأنّ معظم أنشطتها في البصرة قد غلب عليها الطابع التعليمي، ولقد سياسته تهدف إلى تثقيف أتباع التنظيم وتدريبهم أصول ومبادئ التعاليم الإباضية وكان مهتمّاً وحريصاً بأنّ تقد

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

إليه أعداد كبيرة من طالبي العلم من مختلف أقاليم الأقطار الإسلاميّة ليعيدهم إلى بلدانهم أهل علم أكفأ، وأهدافه من وراء ذلك التخطيط، كانت أهدافاً بعيدة المدى، ذات طموحات كبرى، فقد كانت غايته تأسيس إمامة شاملة تضمّ العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>، يوجّهها محيطه الداخلي في البصرة، ولكي يتمكّن من تحقيق أهدافه الداخليّة نأى [عزل] أبو عبيدة بنفسه تماماً عن الحكام ولايتهم لتكتسب شخصيّة صفة الفرد العام البسيط حتّى يكون في مأمن من الملاحقة والبطش ويتفرّغ لمسؤوليّاته ومهامه، وهُوَ هنا يختلف في نهجه هذا عن النهج الذي سلكه سلفه الإمام جابر بن زيد، فقد كانت تعليمات أبي عبيدة لأتباعه تحثهم بعدم إقامة أي صلة بأعوان وعمال الحكام، وأحد طلابه وهُوَ عبد الله بن عبد العزيز يذكر بأنّ أحد عمال الولاة قال لأحد الأتباع الإباضيّة: «أتركني أسجّل اسمك في الديوان وأشاركك في راتبك وسيجئ بك أخي متاعب البيعة وتجنّي المال بطريقة عفويّة تلقائيّة»<sup>(2)</sup>، ويواصل عبد الله حديثه قائلاً: «ذهبت إلى أبي عبيدة وسألته عن رأيه حول هذا العرض، فقال: لا تذهب إليهم ولا تكن قريباً منهم لأنّهُ لا فائدة من ذلك»<sup>(3)</sup>، والربيع بن حبيب الذي كان أحد طلاب أبي عبيدة وقد خلفه في زعامة الإباضيّة في البصرة يروي حادثة مماثلة<sup>(4)</sup> فيقول: «أراد أحد أعضاء المذهب الإباضي أن يلزم الحاكم المعين حديثاً ويخرج معه، ولمّا سأله من الذي أمره بذلك؟ قال رجل آخر أنّ الذي سمح له بذلك هو أبو عبيدة. وقال الربيع: فذهبت إلى أبي عبيدة وسألته إذ كان قد سمح لهذا الشخص أن يلزم الحاكم. فقال: أنا لم أمره بأيّ شيء كما قيل في الحكمة:

قال الثعلب: لديّ تسعة وتسعين حيلة، لأكثرها نفعا عندما لا يراني كلب ولا أراه.

وهكذا المسلم فإنّ الأفضل له أن لا يراه الحكام ولا يدع الحكام يرونه،

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - روايات إباضيّة، مخطوطة 14. راجع ص: 66، وأيضاً (Quot.) ص: 64-65.
- 3 - نفس المرجع أعلاه.
- 4 - نفس المرجع: 14-15، هذه عبارة عن ترجمة للنص الأصلي لتعدّد الحصول عليه.

فإنِّي أخاف من محدثيهم الذين لا يكونون آمنين في حديثهم عن الصلوات التي يؤدونها فما بالك إذا كان الأمر يتعلّق بالآخرين»<sup>(1)</sup>.

هَذَا الاتجاه المتشدّد الذي اتبعه أبو عبيدة بشأن العلاقة مع الحكّام وعمّالهم قد كان ظاهرة مميّزة لسياسته، والاستثناء الوحيد هو علاقته بالخليفة عمر بن عبد العزيز حين أرسل إليه وفدًا ممثلًا للحركة الإياضية<sup>(2)</sup>. هذا وليس غريبًا على أبي عبيدة أن يكون مسلكه متشدّدًا وآراؤه حازمة<sup>(3)</sup> وقد صار زعيمًا يعي جيدًا حجم المسؤولية والمهام الملقاة على عاتقه فقد كانت له من قبل مواقف مماثلة وآراء حاسمة بأدلتها وبراهينها كثيرًا ما تمّ النزول عندها والأخذ بها، إذ على سبيل المثال حدث في عهد جابر بن زيد - كما ذكرنا آنفًا - أن مجموعة من زعماء فرقة المحكّمة ومن بينهم عبد الله بن إياض قد اتصلوا بعبد الله بن الزبير وعرضوا عليه أن يقفوا معه صفاً واحداً إن هو نزل عند آرائهم وأخذ بها<sup>(4)</sup>، لقد كان موقف أبي عبيدة مختلفاً تماماً، بل كان توافقاً لأن تكون هناك حركة إياضية صرفة تسعى لتحقيق أهدافها دون أي التباس أو تماس مع تيارات أخرى، وموقفه في مسألة عبد الله بن الحسن كذلك قد كان أكثر وضوحاً في هذا الشأن وأشدّ التزاماً بالنهج الاستقلالي للحركة منذ بداية نشأتها (or) [أو] منذ أن بدأت تتبيّن ملامح شخصيتها الدينية والسياسية<sup>(5)</sup>. فقد أرسل إليه عبد الله بن الحسن ضمن خطابه إلى بعض شيوخ الإياضية في البصرة ليناقدش معهم خططه وقد كان بسبيل القيام بثورة ضدّ بني أمية، وافق الشيوخ وقتها بإرسال صالح بن كثير إليه كمندوب عنهم للحوار معه، ولكن أبا عبيدة رفض موافقتهم على رأيهم وقال لهم<sup>(6)</sup>: «وهذا ليس برأيي

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - على الهامش الجانبي سهم يشير إلى وضع ملاحظة غير أنّ الورقة التابعة لهذه الصفحة غير موجودة. (تحتاج إلى تأكّد)

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - بتصرّف (على الهامش الجانبي).

6 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما

أثرون رجلا يخاف على نفسه ويطلب الملك ألا يعطيكم كل ما سألتموه وإذا طأوكم على ما تدعونه إليه، قال: أنا مقرّ بدعوتكم ولكن الناس إليّ أسرع، وأنا أحقّ فالمراد عسى تقول له يا صالح وقد صدق، فإن أراد الدين كما يزعم فليلحق بصاحبنا بحضرموت عبد الله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت ففرّق جماعتهم واندسّ رأيهم [كذّا]»<sup>(1)</sup>.

وبالتالي تراجع الشيوخ عن موقفهم ووافقوا أبا عبيدة على رأيه، وهكذا كان أبو عبيدة واضحا دائما في مواقفه المتشدّدة ضدّ إقامة أي اتّصال مع أي جهات مسلمة غير إباضيّة سواء كان ذلك على المستويات السياسيّة أو الدينيّة وحتى على المستوى الاجتماعي، حيث رأينا موقفه في حالات الزواج التي سبقت الإشارة إليها<sup>(2)</sup>.

هذه السياسة التي اتّبعتها أبو عبيدة قد أكّدها مبدأ الولاية والبراءة ونظام المجالس كذلك، وبالتالي استطاع مجتمع الإباضيّة في البصرة أن يحافظ على سياسة الكتمان في ظلّ زعامته، وقد كان مجتمع الشيوخ في عهده بمثابة الهيئة التنفيذية للحركة الإباضيّة، بينما ظلّ هو الزعيم أو الإمام المسؤول عن الشؤون الدينيّة والسياسيّة العامّة لكافة المجتمع الإباضيّة، وكانت مسؤوليّته تلك هي مسؤوليّة ممتدّة، فحتى في إطار سياسة الكتمان فقد استوعب اهتمامه مشاكل الإباضيّة واستفساراتهم وهم في مختلف المواقع الاقليميّة القريبة والنائمة، وعلى سبيل المثال لم يعلن عبد الله بن يحيى على الإمامة في اليمن إلا من بعد ما جاءت الموافقة بذلك من أبي عبيدة<sup>(3)</sup>، وكذلك فإنّ ظهور الإمامة في شمال إفريقيا بزعامه أبي الخطّاب قد جاءت وفقا للتخطيط الذي رسمه أبو عبيدة أيضا<sup>(4)</sup>.

لقد كان هنالك عدد من الشيوخ البارزين الذين قاموا بأدوار مهمّة إلى

---

للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزيّة .

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

جانب البذل الكبير لأبي عبيدة، ومن بين أولئك الشيوخ:

1- أبو مودود حاجب الطائي من بني هلال، من الموالى، أصله من عُمان لكنّه مولود في البصرة<sup>(1)</sup>، وقد انضمَّ للحركة الإباضيّة بعد وفاة جابر بن زيد<sup>(2)</sup>، وأصبح ساعداً أيمن لأبي عبيدة وكان مسؤولاً عن الشؤون الحربيّة والماليّة معاً<sup>(3)</sup>، هَذَا بينما كان منزله من بين المراكز الهامة للحركة في البصرة، ففيه كانت تقام الصلوات في رمضان<sup>(4)</sup>، إلى جانب عقد الاجتماعات المهمّة للشيوخ<sup>(5)</sup>، وعندما أعلن عبد الله بن يحيى الكندي وأبو حمزة الثورة والإمامة في اليمن كانت جهود حاجب سبّاقه حيث جمع لهما أموالاً طائلة واشترى لهما الأسلحة لدعم مسيرتهما<sup>(6)</sup>، كما وشملت مسؤوليّاته مهاماً أخرى تنبئ عن الاقتدار والحكمة والأمانة ممّا كانت تطلبه تلك المرحلة وتؤكد في الوقت ذاته نظرة الإمام أبي عبيدة الناقبة في اختياره له كساعداً أيمن، لقد انتدب بالذهاب إلى مكّة المكرّمة في زمن الحجّ في أحد الأعوام ليتقابل مع بعض الجماعات الإباضيّة من حضرموت بع=غرض تسوية نزاعات نشبت فيما بينها في عهد عبد الله بن سعيد<sup>(7)</sup>، كذلك كان يعهد إليه بمتابعة نشاطات التنظيم داخل البصرة ووضع برامج انعقاد الاجتماعات العامّة<sup>(8)</sup>، وعندما توفّي حاجب كان في نمته دين وقدره خمسون ألف درهم، فما كان من صاحبه الفضل بن جندب إلا أن باع منزله في صحار بعُمان لتسديد ذلك الدين<sup>(9)</sup>، لقد توفّي حاجب قبل أبي عبيدة وذلك في عهد خلافة أبي جعفر المنصور<sup>(10)</sup>.

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 6 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 7 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 8 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 9 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 10 - موضوع الإحالة غير موجود.

2- وحيّان الأعرج هو أيضاً من بين أولئك الشيوخ الذين كان لهم شأن في حياة مجتمع الإباضيّة في البصرة، وهُوَ من مرواة الحديث الشريف ومن المعروفين باهتماماتهم بالسنة المطهّرة، وقد عاش في البصرة وفي الحي نفسه الذي كان يسكن فيه أستاذه جابر بن زيد<sup>(1)</sup>، لقد كان أكبر من أبي عبيدة سنّاً<sup>(2)</sup>، ودرس على يد الإمام جابر وروى عنه الأحاديث الشريفة للدارسين من الطلاب الإباضيّة وحتى لأولئك الذين كانوا يتلقّون العلم عن جابر بن زيد فقه [كذا] كأبي نوح صالح الدهّان<sup>(3)</sup>.

3- كذلك تلك القائمة أبا نوح صالح الدهّان من البصرة، لقد عاش مع الطائي في البصرة<sup>(4)</sup> وأخذ العلم عن جابر بن زيد<sup>(5)</sup> وشارك مع أبي عبيدة في تدريس أسس وتعاليم مذهب الإباضيّة، ولقد ورد أنّ الربيع بن حبيب قال: <sup>(6)</sup>«إنّما حفظت الفقه عن ثلاثة هم: أبي عبيدة، وأبي نوح، وضَمَام [كذا]»<sup>(7)</sup>، وأبو نوح هذا ومعه أبو عبيدقد روى عنهما تلميذهما<sup>(8)</sup> عبد الله بن عبد العزيز مادّة كتابه: نكاح الشغار، وهُوَ من الكتب القديمة التي ما تزال موجودة.

4- ومن بين شيوخ الإباضيّة كذلك بن السائب، وهُوَ من أسرة أصلها من بلدة ندب في عُمان<sup>(9)</sup>، ولقد وُلِد في البصرة وأخذ علومه عن جابر بن زيد وعنه أخذ معظم رواياته للحديث<sup>(10)</sup>، وأبو عبيدة نفسه روى عنه بعضاً من تلك الأحاديث، وأهمّ ما قام به ضَمَام هو تدريسه لتعاليم ومبادئ الإباضيّة

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

6 - على الهامش الجانبي: «نص»، وتَرَد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

7 - موضوع الإحالة غير موجود.

8 - موضوع الإحالة غير موجود.

9 - موضوع الإحالة غير موجود.

10 - موضوع الإحالة غير موجود.

إلى جانب السنة النبويّة المطهّرة التي كان أبو صفرة قد سجّل معظمها عن أبي الربيع بن حبيب، ولقد سجن ضُمام مع أبي عبيدة ومعهما شيخ إياض آخر هو أبو سالم وذلك بأمر من الحجّاج ابن يوسف، وقد أفرج عنه بعد وفاة الأخير<sup>(1)</sup>، هذا وهناك شيوخ آخرون أمثال أبي الحر علي بن الحصين، وأبي حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وغيرهم.

5- ومن بين طلاب أبي عبيدة من الشباب الذين قاموا بدور هامّ في مسيرة تنظيم الإباضيّة في البصرة في عهده ومن بعد البصرة خلفه أبو الربيع بن حبيب الفراهيدي، ولقد عاش في البصرة في منطقة اسمها الحربية<sup>(2)</sup>، وفيما بعد غادر البصرة إلى عُمان وأقام في بلدة غضفان في الباطنة<sup>(3)</sup>، لقد عاصر الربيع بن حبيب جابر معنَى زيد ودرس عليه العلم، ودرس أيضاً على ضُمام بن السائب وعلى أبي عبيدة وأبي نوح صالح بن نوح الدهان<sup>(4)</sup>، وفي عهد أبي عبيدة كان هو وآخرون مسؤولين عن المجالس وتنظيماتها<sup>(5)</sup>، وقد عيّنه أبو عبيدة في عهده مفتياً للإباضيّة، وقد وصفه قائلاً: <sup>(6)</sup>«أدّ فقيها وإمامنا وتقيّاً»<sup>(7)</sup>، بمساعدة أولئك الرجال استطاع أبو عبيدة تنفيذ سياسته وخطه بنجاح (or) وأن يقيم دولتين إباضيّتين، كانتا خطراً حقيقياً على الكيان الأموي وعلى العباسيين فيما بعد في الجزيرة العربيّة وفي شمال إفريقيا.

هكذا يتّضح بأنّ البصرة قد كانت المركز الرئيسي لنشاط الإباضيّة المتعدّد الوجوه في العراق، ومع ذلك فهناك أدلّة على أنّه قد وجدت مجموعات إباضيّة نشطة في الكوفة والموصل وفي مكّة المكرّمة والمدينة

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

6 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

7 - موضوع الإحالة غير موجود.

المنورة، وأيضاً في أجزاء من خراسان حيث ظهرت مجموعة كبيرة من علماء عظماء كانت لهم مساهمات إيجابية وبناءة في ترسيخ وتطوير مذهب الإباضية، وكانت آراؤهم تردّ جنباً إلى جنب مع آراء جابر بن زيد وأبي عبيدة، ونجد ذلك واضحاً في الكتابات والمؤلفات الإباضية المتقدمة كما في مدوّنة أبي غانم وفي الديوان المعروف وفي روايات ضمام، عدا ذلك فليس هناك إلا القليل جداً ممّا عرف عن تلك المجتمعات وعن إسهاماته في الحركة الإباضية وفي نشاطاتها في المجالات السياسية والتعليمية<sup>(1)</sup>، وفي كلّ الأحوال فقد كانت سياسة الزعماء الأوائل للحركة تهدف إلى نقل فعاليات وأنشطة التنظيم إلى عمق الأقاليم النائية من الإمبراطورية الإسلامية حتى لا يسهل سحق الحركة، ولقد نجح أولئك الزعماء في تقادي انزلاق تنظيمهم ثورة مكشوفة في العراق، بل كان تركيزهم إشعال الثورة في جنوب الجزيرة العربية<sup>(2)</sup> وفي شمال إفريقيا، والصفحات التالية نخصّصها لإلقاء الضوء على انتشار المذهب الإباضية في شمال إفريقيا.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

## انتشار الدعوة في شمال إفريقيا

ليس معروفًا على وجه التحديد متى بدأت الدعوة الإباضية في كسب أتباع لها في شمال إفريقيا، ولكن تجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تأسس فيه مذهب الإباضية في البصرة في النصف الثاني من القرن الهجري الأول كان الإسلام قد كسب أرضية قوية في شمال إفريقيا رغم المعارضة الأولية التي أبداه البربر، وبالنسبة لمآ ورد في دراسات المؤرخ لفتسكي، فقد ظل أهالي جبل نفوسة على تمسكهم القوي بنصرانيتهم رغم فتوحات المسلمين في الإقليم إلى حين أن دخلوا الإسلام ضوائهم مباشرة تحت لواء الإباضية<sup>(1)</sup>، هذا الرأي تعارضه مصادر تاريخية أخرى تشير إلى أن أهالي نفوسة قد دخلوا الإسلام جميعاً دون أي حرب أو معارضة من أي نوع كانت<sup>(2)</sup>، وهناك حقيقة ثابتة وهي: أن الإسلام قد انتشر في بقاع (غداماس) ناحية جنوب غرب جبل نفوسة بواسطة القائد الإسلامي: عقبة بن عمرو الذي عينه عمرو بن العاص على إمرة الجيش الإسلامي لفتوحات الغرب بينما توجه هو إلى ناحية طرابلس الغرب وفتحها سنة: 23هـ، وهذه المعلومات التاريخية تؤيد ما ذهبت إليه المصادر المذكورة من أن بعض أهالي نفوسة قد اعتنقوا الإسلام منذ ذلك الوقت، وفيما بعد اتبعوا مذهب الإباضية، هذا بسينما هنالك معلومات موثوقة بأنه كانت لا تزال هنالك بعض الأسر من أهالي جبل نفوسة ظلت على نصرانيتها إلى ما بعد انتشار مذهب الإباضية في منطقة الجبل<sup>(3)</sup>، كما هنالك دليل مؤكد على أن بعض الأسر المسلمة غير الإباضية قد ظلت هكذا ولفترة طويلة من بعد شيوع تعاليم الإباضية في تلك المنطقة، وأسر أبي منصور إلياس في بلدة: تنميرة هي من بين تلك الأسر، وقد كانت أسرة بارزة بين الأسر الذائعة الصيت [كذا] في نفوسة<sup>(4)</sup>، هذا يصعب الوصول إلى خلاصة محددة

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

وواضحة بهذا الشأن<sup>(1)</sup> في ظلّ معلومات على ندرتها هي أيضاً متضاربة.

من ناحية أخرى كما ذكرنا فيما سبق نجد أنّ سلمة بن سعد أو سعيد الحضرمي؛ بهذا الاسم المحدّد هو صاحب المهمة التي حدّتها البصرة إلى شمال إفريقيا للدعوة لتعاليم مذهب الإباضيّة، ولم يرد تاريخ محدّد لبداية تلك المهمة أو لوصول سلمة إلى شمال إفريقيا، لكننا نجد في تقرير بعض المؤرّخين الإباضيّة الموثوق بهم أنّ سلمة قد وصل القيروان وبرفقتة عكرمة الذي كان مولى لابن عبّاس<sup>(2)</sup>، وفي هذه المعلومة ما يشير إلى أنّ مهمة سلامة قد كانت قبل الفترة الممتدّة بين عامي: 905-907هـ، وهما التاريخان المحدّدان لوفاة عكرمة<sup>(3)</sup>، أمّا الدور الذي قام به سلمة بن سعد في المغرب فينظر إليه علماء الإباضيّة على أنّه قد كان مشابهاً لمّا اضطلع به عبد الله بن إياض في شمال إفريقيا وبين وصول سلمة إلى ذلك الإقليم وهي المهمة التي أثمرت عن إيفاد طلبة العلم إلى البصرة لتلقّي مزيد من العلوم في إطار منهج المدرسة الإباضيّة على يد إمامها الثاني أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وتخرّجوا بعد ذلك وعرفوا بحملة العلم.

والحقيقة التي لا يجب أن تغفل عن البال هي أنّه لمّا وصل سلمة بن سعد إلى شمال إفريقيا كانت؛ هنالك مجموعة كبيرة من الإباضيّة سبق لها أن استقرّت في بعض المناطق من وسط شمال ذلك الإقليم، وعلى وجه التحديد في الجزء الغربي من ليبيا، ومن المحتمل أنّ الآراء والمعتقدات الإباضيّة قد وجدت لها أتباعاً في بداية الأمر بين المستوطنين العرب الذين وفدوا للإقليم في مجموعات قبليّة للفتح والاستيطان، وقد وجدوا مساندة من القبائل التي كانت مستقرّة أصلاً في نفوسة وهي قبائل هوارة ولواتة وزهانة وزناتة، خاصّة وقد وجدت هذه القبائل في مفاهيم الدعوة الإباضيّة تمثيلها الحقيقي والواقعي لتعاليم الدين الإسلامي وفي مساواة كاملة في كلّ الحقوق مع

1 - Is to be located some where here check. ، لم يشر إلى المصدر رقم: 84.

الإحالة غير موجودة يتأكّد من موضعها.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

العرب، ومن المعنقد أيضاً أن أولئك الأهالي المحليين قد وجدوا في التعاليم الإباضيّة الحافز الديني لمعارضة الحكم الاستبدادي للأمويين والعباسيين معاً، وإلى ذلك فإنّه من الواضح أن الدور الأساسي الذي ساهم تأسيس ونشر الدعوة الإباضيّة في شمال إفريقيا قد قام به العرب الحضارمة واليمنيون.

وكما ذكرنا سابقاً فقد كان من أهداف مهمّة سلمة بن سعد اختيار أفراد من الأهالي المحليين لإرسالهم إلى البصرة لتلقّي المزيد من العلوم والتفقه في الدين والتدريب لتحمل مسؤولية زعامة المذهب الإباضي في شمال إفريقيا، ولقد كان من نتائج هذا التخطيط الموجه أن صار في اعتبار الأهالي أن التعاليم الإباضيّة قد أصبحت من خصوصياتهم الدينيّة وهو الأمر الذي اكتسبت الدعوة الإباضيّة من خلاله الدعم الكامل من قبائل البربر.

وأما أهمّ الأهداف الطموحة لسلمة بن سعد من وراء جهوده الكبيرة تلك تمثّل في نظرته التواقة لتأسيس إمامة إباضيّة واضحة المعالم، راسخة الأركان في شمال إفريقيا، وحول [أو] <sup>(1)</sup> وفي هذا المعنى يقول الإمام عبد الرحمن بن رستم: «لقد سمعت سلمة بن سعد يقول وهو في القيروان: أتمنّى أن تظهر الحركة الإباضيّة ولو حتّى يوماً واحداً من الصباح إلى الليل، ولا أبالي إن كان سيقطع رأسي بعد ذلك» <sup>(2)</sup>، ولعلّ في هذه الكلمات إشارة محتملة تقيد بأنّه قد كانت هنالك جالية إباضيّة تسكن ذلك الإقليم من قبل مجيئ سلمة <sup>(3)</sup> ولكنها كانت ملتزمة بنهج وتخطيط الزعامة في البصرة وبتطبيق سياسة الكتمان المرحليّة، وترتيباً على ذلك لم يكن ممكناً في ذلك الوقت القيام بمحاولة إعلان تأسيس إمامة إباضيّة لأنّ الظروف لمّا تسمح بذلك.

ولوصل الحديث عن هذا الموضوع نشير هنا إلى أن أول محاولة يقوم

1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما

للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - وضع سهم في الهامش الجانبي يتأكد منه.

بها الإباضيَّة لتأسيس إمامة لهم في شمال إفريقيا قد بدأت بالفعل عندما تمَّ تعيين إلياس بن حبيوالياً على طرابلس الغرب من قبل الأمويين وذلك عام: 127هـ، لقد نكرت المصادر التاريخيَّة بأنَّ إلياس أمر بقتل عبد الله بن مسعود التجيبي [كذاً] من قبيلة تجيب وهي قبيلة عربيَّة وأصلها حضرمي، وهذا الشيخ كان أحد زعماء الإباضيَّة في طرابلس الغرب<sup>(1)</sup>، والسبب المباشر لقتله لم يكن معروفاً، والمؤرخان على معمر وإحسان عبَّاس يريان أنَّ إلياس أراد أن يُدخل الرعب في قلوب الإباضيَّة ويكسر شوكتهم<sup>(2)</sup>، ولعلَّ هذه الإفادة تشير إلى أنَّ الإباضيَّة قد كانوا مركز قوَّة لها وزنها في طرابلس وقضائها في ذلك الوقت، هذا وكيفما كانت مسببات تلك الحادثة فإنَّني أعتقد أنَّها قد كانت نتيجة لردِّ الفعل المباشر لقيام ونجاح ثورات الإباضيَّة في حضرموت واليمن ضدَّ الحكَّام الأمويين ومن ثمَّ تأسيسهم لإمامة مستقلَّة في نفس ذلك التوقيت تقريباً، ومن الطبيعي بالنسبة للأمويين أن يكونوا في حالة من التقرب والحذر الشديدين واتخاذ أيِّ خطوة مسبقة لمنع قيام أحداث مماثلة في مراكز الإباضيَّة ذات النفل، ويبدو أنَّ إلياس ابن حبيب قد استخفَّ بقوَّتهم من فرط تقديره المتسرَّع، وعضاً أن يكون في قتل أحد زعمائهم ما يخضعهم للسلطة فقد حدث العكس، حيث أثار حادث الاغتيال أو القتل حفيظة الإباضيَّة فكان سبباً مباشراً لقيامهم بالثورة، فقد اختاروا الحادث بن تليد الحضرمي إماماً لهم، وقام الحارث بمساعدة قاضي الإباضيَّة عبد الجبار بن قيس المرادي بمحاولة جريئة للسيطرة على طرابلس وقتلوا قيس بن نصير بن راشد من تابعي الأنصار وذلك انتقاماً لمقتل عبد الله بن مسعود التجيبي<sup>(3)</sup>، وأصبح الحارث حاكماً لكلِّ المنطقة الواقعة بين فاس وسرت، واستمرَّت سلسلة الأحداث الدراميَّة، فقد قتل كلُّ من الحارث وعبد الجبار على يد شعيب بن عثمان وهُوَ أحد القادة الذين عيَّتهم عبد الرحمن بن حبيب لإخماد ثورة الإباضيَّة<sup>(4)</sup>، فقام أتباع الحارث

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

باختيار خليفة له هو أبو الزاجر إسماعيل بن زياد النفوسي، ليقود الإباضية في الصراع الذي احتدم بين الطرفين، واستطاع هذا الإمام أن يكسب مركز قوة في مناطق طرابلس<sup>(1)</sup>، ومصادر الإباضية تشير إلى أن أبا الزاجر قد كان إمام الدفاع<sup>(2)</sup>، وهذه الحقيقة تقيد بأن فترة زعامته قد كانت فترة صراع حربي مستمر ضد أعدائه وأنه لم يستطع إقامة دولة مستقلة، ومجمل القول هو أن ذلك الصراع الذي نشب وجاهد زعماء الإباضية من خلاله لتأسيس إمامة مستقلة في شمال إفريقيا قد حدث في الفترة الواقعة بين 127هـ و 132هـ، وبعد ذلك عاد الإباضية لتطبيق سياسة الكتمان لفترة ثماني سنوات إلى أن تم اختيار أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وهو من بين حملة العلم إماماً في طرابلس في عام: 140هـ، وقد امتد نفوذ زعامته ليشمل كل المناطق الواقعة بين سرت والقيروان وزويلة، ولكن هذا الإمام لم يكن يستطيع مقاومة جيش الخليفة العباسي الجديد، وقتل ومعه أربعة عشر من أتباعه على يد قائد الجيش العباسي محمد بن الأشعث الذي كان والياً للخليفة أبي جعفر المنصور على مصر وذلك في عام: 144هـ<sup>(3)</sup>.

## حملة العلم:

من الأهمية بمكان أن نشير هنا في شيء من تفصيل إلى الدور الذي اطلع به حملة العلم في نشر الدعوة الإباضية في إقليم شمال إفريقيا، وتجدر الإشارة إلى القول بأن بداية التعليم من حيث تلقيم العلوم الدينية قد كانت في فترة العقود الأولى من القرن الهجري الثاني، وكما ذكرنا فيما سبق فقد كان ابتعائهم [كذا] للالتحاق بعلماء البصرة بعد زيارة سلامة بن سعد لشمال إفريقيا، ولقد اختيروا من مناطق مختلفة وبالكيفية التي تم من خلالها تغطية أهم مراكز وسط شمال إفريقيا بحيث يصبح لكل منطقة فيما بعد زعيمها الديني من أهلها، وأولئك الطلاب هم:

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

أبو ضرار إسماعيل بن ضرار الغدامسي من غدامس، وعبد الرحمن بن رستم وهُوَ من أصل فارسي ومن القيروان، وعاصم السدراتي من سدراته، وأبو الخطاب عبد الأعلى، وهُوَ أصلاً من اليمن والتحق بحملة العلم في البصرة<sup>(1)</sup>، هذا وقد أشار أستاذهم أبو عبيدة مسلم بأنَّ أبا الخطاب هو الإمام الأوَّل للإمامة المتوقع قيامها في شمال إفريقيا، وهذه الحقيقة توضح بأنَّ مركز القوَّة الذي كان يُعوَّل عليه كثيراً لحسم مسألة الزعامة قد رجحت كفتَه لصالح العرب الذين استوطنوا في الإقليم وبالفعل أرسل أبو الخطاب تبعاً لذلك، ومن ناحية أخرى لم يكن بين أفراد تلك البعثة؛ أي من النفوسيين، ولقد مثلهم ابن مفتير الجنائوي والذي وفد إلى البصرة في وقت سابق قبل ذلك<sup>(2)</sup>.

لقد تمَّ تدريب وصلِّ أولئك الطلاب تحت إشراف أبي عبيدة حيث كان يقوم بنفسه بتلك المهام، فقد انتظموا تحت رعايته تعلمًا وتدريبًا لفترة خمس سنوات لحين تكامل قناعاته بالمستوى الرفيع الذي أحرزه، ومن ثمَّ مباركة عودتهم إلى ديارهم لبداية مرحلة جديدة من العمل والبذل في إطار منهج المدرسة الإياضية، وهناك على أرض الواقع وبجانب مشاركتهم بالعمل والتخطيط في مسار الصراع السياسي الذي بدأ في عام: 140هـ، بقيادة أبي الخطَّاب، واستمرَّ تحت زعامة: زميله عبد الرحمن بن رستم والذي تدبر أمر وخطَّ لمغادرة طرابلس سرًّا إلى وسط الجزائر بعد مقتل أبي الخطاب حيث استطاع أن يؤسس الإمامة الرستمية في عام: 160هـ، واستمرَّت حتى عام: 296هـ، بجانب ذلك فقد قام "حملة العلم" ببور هام؛ بنقل ما اكتسبوه من علوم في البصرة إلى أتباعهم الإياضية في شمال إفريقيا، هذا وليس معلوما ما إذا كانوا قد أحضروا معهم مادَّة مكتوبة عند عودتهم من البصرة أم لا، وفي واقع الأمر فإنَّ المؤلِّف الوحيد الذي نسبت كتابته لواحد من حملة العلم هو: "تفسير عبد الرحمن بن رستم"<sup>(3)</sup>، هذا علما بأنَّه ورد بأنَّ مؤلِّفًا آخر حول التعاليم والمعتقدات الإياضية لأبي عبيدة مسلم قد كان

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

من المقدر وجوده في فزان بليبيا وذلك في منتصف القرن الهجري الثاني، ويدل على ذلك بضع كلمات وردت في رسالة للعالم الفزاني: عبد القهار بن خلف بن جنأو بن فتى المديوني من قبيلة مديونة من قبائل البربر، حيث يقول: <sup>(1)</sup> «لعل الله أن يحيى بكل أهل هذه الدعوة وأحب تعجيل ذلك لأنني على آخر أيامي واقتراب أجلي ومن ثم فعليك بالقدوم لدراسة كتب أبي عبيدة» <sup>(2)</sup>، هذا ولم ترد أي معلومات عن الكيفية التي وجدت بها مؤلفات أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بين يدي ذلك العالم الفزاني، هذا ولعله هو نفسه قد درس وتلقى العلم على أيدي أبي عبيدة في البصرة ومن ثم أحضر معه تلك المؤلفات عند عودته لدياره.

والى ذلك فإن الملاحظة التي ينبغي تأكيدها هنا هي أن الشكل النهائي الذي أصبح عليه فكر ومنهج الإباضية قد تأسس وتبلور في البصرة، ثم جاء دور الطلاب الدعاة لنقل ذلك الفكر المذهبي وتعاليمه إلى شمال إفريقيا، ويبدو أن عددهم يفوق الخمسة الذين ورد ذكرهم، كذلك من الواضح أن الاتصالات بين مركز الحركة الإباضية في البصرة وشمال إفريقيا قد بدأت ومنذ وقت مبكر من تاريخ هذا الإقليم وتفاعله مع مد الحضارة والفتوحات الإسلامية على أنه من ناحية أخرى ليس هنالك من دليل على وجود علماء إباضية بين البربر قبل عهد أبي عبيدة مسلم، وأول من ورد ذكره في المصادر التاريخية الإباضية كعالم إباضي من البربر هو ابن مغتير الجنأوي الذي سبق له أن درس على أيدي أبي عبيدة في البصرة وذلك قبل وضع الأخير لمنظومة آرائه ضمن التشكيل النهائي لنظام الأحكام والتشريع عند الإباضية <sup>(3)</sup>، ولقد كان ابن المغتير هو المفتي في جبل نفوسة من قبل عودة حملة العلم الخمسة المشار إليهم آنفاً، كذلك أوردت تلك المصادر ذكر عمرو بن يمكتن كأول عالم إباضي في نفوسة قام بتعليم القرآن الكريم في مسجد بلدته، واسمها: أفات مات [أو] أفاتات؛ وأصبح

1 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كل الاقتباسات وربما

للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

فيما بعد من بين أهمّ الزعماء في نفوسة حيث شارك في حروب أبي الخطاب ووقف إلى جانبه ضدّ الجيش العبّاسي<sup>(1)</sup>. وعليه وبناءً على المعلومات المتوفرة يتّضح جلياً؛ بأنّ إياضيّة شمال إفريقيا قد كانوا على اتّصال وثيق بالبصرة للتفقه في الدين ولدراسة التعاليم الإياضيّة، وأمه من المؤكّد أنّ تلك الاتصالات قد بدأت في الفترة الأخيرة من نهاية القرن الهجري الأوّل، وعلى ذلك فقد كان اعتماد إياضيّة شمال إفريقيا اعتماداً كلياً على علماء البصرة ومنهم أبو عبيدة مسلم على وجه الخصوص وذلك فيما يتعلّق بأنّ مشاكل تواجههم في أمور العقيدة وفي مسائل الفقه، هذا ومن بين كتابات أبي عبيدة لأهل المغرب والتي لا تزال موجودة وباقيّة مقالاته حول الزكا والتي كتبها إلى شخص بعينه واسمه: إسماعيل بن سليمان المغربي<sup>(2)</sup>، والجيطالي، ينكر أيضاً بأنّ أبا عبيدة قد أرسل بضع جوابات حول مسائل في العقيدة لأهل المغرب كذلك<sup>(3)</sup>، ولكن تلك الجوابات لا تزال مفقودة، وفي كلّ الأحوال يمكن القول بأنّ الاتصالات المُستمرّة إليها في صدر حديثنا هذا، وقد كانت على ارجح ذات فعاليّة بارزة في عهد أب عبيدة وقبل عودة حملة العلم الخمسة الذين تحمّلوا مسؤوليّة وعبء الدعوة للتعاليم والأفكار الإياضيّة والعمل على تعميق جنورها في أوساط مجتمعات المغاربة، والدور الكبير والهام في هذا المجال قد تكفّل به: أبو درار الغدامسي وأبو داوود القبلي وعبد الرحمن بن رستم، وأمّا الآخرون وهما على وجه التحديد أبو الخطاب عبد الأعلى وعاصم السدراتي، فقد وظّفا نشاطهما في المجالين السياسي والحربي، وقد توفيا قبل يتحقّق لهما استقرار يتهيأ لهما به فضل المشاركة في نشر التعليم والتوعية الدينيّة.

عليه يمكننا أن نخلص إلى حقيقة أنّ الاتّصال المعني بالأمر بين جماعتي الإياضيّة في المشرق والمغرب قد ظلّ قائماً وعلى وتيرة منتظمة في كلّ الأوقات، وعندما اختير عبد الرحمن بن رستم إماماً في تاهرت سارع إياضيّة المشرق بإرسال وفد خاص للنظر في إدارته وأهليّته كإمام، وعندما

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

توفّرت لدى الوفد القناعة به لم يدّخروا وسعاً في مساندته معنوياً ومادياً، هذا بينما ظلّ الاتّصال مستمرّاً بعد ذلك حيث كانت حالات الخلاف والتعارض التي تقع بين الإباضيّة في شمال إفريقيا تحال لمركز الزعامة في المشرق للبتّ فيها بالرأي، الفصل والحلول المناسبة، وهناك مجموعة من الرسائل [أو] الجوابات وجّهها علماء المشرق تضمّنت آراءهم حول مسائل دينيّة [أو] سياسيّة، كانت محور خلاف بين الإباضيّة المغاربة<sup>(1)</sup>.

ودائرة الاتّصال هذه قد اتّسعت في عهد الجيل التالي للزعامة الإباضيّة في شمال إفريقيا لتشمل ظاهرة نقل مكثّف لكتابات ومؤلّفات علماء الإباضيّة في المشرق<sup>(2)</sup>، ففي عهده أرسل الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم يطلب كتباً ومؤلّفات من المشرق، فما كان من رفقائه الإباضيّة هناك إلاّ أن قاموا بتجهيز وقر أربعين بعيراً من الورق نسخت عليه مادّة من كتبهم ومؤلّقاتهم وأرسلوا القافلة للمغرب، وبلغت تكلفة الورق لوحده ألف درهم قام الإمام عبد الوهّاب بدفعها<sup>(3)</sup>، وإلى ذلك أيضاً فقد جاء العالم أبو غانم الخراساني إلى تاهرت ليقدم مؤلّقاته للإمام عبد الوهّاب، وعلى هذا النحو استمرّ الاتّصال التعليمي بين مركزي الإباضيّة في المشرق والمغرب فيما بعد ذلك، ووجد اهتماماً كبيراً من الزعامات التي تعاقبت فيما تلي من عهود، هذا إضافة إلى مؤتمر الإباضيّة السنوي والذي كان يعقد في موسم الحجّ في مكّة من كلّ عام حيث كانوا يتبادلون فيه الحوار والنقاش والآراء والملاحظات حول مختلف أحوالهم وشؤونهم.

زمجمل القول فإنّ مجتمع الإباضيّة في شمال إفريقيا قد لعب دوراً<sup>(4)</sup> محدوداً في تطوير الفكر الإباضي، لكنهم قد وعوا النظريّة وأصبحت راسخة لديهم، كما أفلحوا في التطبيق العملي لمذهب ومعتقدات ذلك الفكر في حياتهم، ثمّ كان من ثمار مرحلة حملة العلم ظهور جبل من المثقّفين برزت

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - وضع سهم في الهامش الجانبي يتأكّد منه.

من بينهم نخبة من العلماء الكبار أطلق عليهم طلبية حملة العلم، وكان من بينهم عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم، وأبو خليل الدركلي، ومحمد بن يانس وآخرون<sup>(1)</sup>، ومن خلال نشاط هؤلاء العلماء أصبحت مدينة تاهرت التي أعيد تطويرها كعاصمة للإمامة الإباضيَّة أصبحت من أهمِّ المراكز الرئيسيَّة لنشر مبادئ وتعاليم مذهب الإباضيَّة في شمال إفريقيا، والأئمَّة الذين تعاقبوا؛ شاركوا بأنفسهم في النشاط التعليمي بالإضافة لجهودهم وبذلهم في مجال التأليف، وبجانب العاصمة تاهرت كمركز رئيس للإمامة كانت هنالك مراكز عديدة بذات الأهمية كما في نفوسة وأيضاً في مناطق أخرى من المغرب، وبعد انهيار الإمامة في تاهرت تحوَّلت الأنشطة الثقافيَّة للإباضيَّة إلى وادي ريغ، وزاع صيت جزيرة جربة لتصبح من بين المراكز التعليميَّة الرئيسيَّة في الإقليم نتيجة لحركة ونشاط مجلس العزَّابة<sup>(2)</sup>، وأمَّا عن جبل نفوسة فعلى الرغم من أنَّ غتصالاتها مع الإمامة في تاهرت قد ضعفت بعد معركة مانو؛ والتي نشبت ضدَّ الأغلبية في سنة: 283هـ، فقد حافظت في استقلاليَّة على التراث والتعاليم الإباضيَّة وقامت فيها عدَّة مراكز ومدارس في مناطق مختلفة في الجبل لتدريس تلك التعاليم والمبادئ، وكان من ثمار ذلك الاهتمام التعليمي أن برزت في أوساط ذلك المجتمع مجموعة كبيرة من علماء الإباضيَّة من نوي المكانة العلميَّة الموموقة في ثلاثة مناطق من جبل نفوسة وهي جزيرة جربة، ووسط الشمال الإفريقي، أي جنوب تونس والجزائر، ولقد ساهم أولئك العلماء وبقدر كبير في إثراء التراث الإباضي من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم التي لا يزال معظمها محفوظاً وبقياً رغم تعاقب القرون، وتجدر الإشارة إلى القول بأنَّ تلك المؤلَّفات تستحقَّ عناية أكاديميَّة خاصة.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

## الباب الرابع

في عام: 1903م كتب البروفيسور "دنكان ماك دونالد" ما نصّه: (1) «عن فلسفة التشريع الإسلامي ونسبة الأحكام عند الإباضيّة؛ نعلم الشيء القليل، ولكن فحصباً متكاملًا للفقه عندهم سيكون أمرًا مفيدًا للغاية بالنظر إلى الطابع المنفرد لمنهجهم في الفقه والأحكام وأصالة جنوره قبل ظهور أيّ منهج لأيّ من المدارس المذهبيّة الإسلاميّة الأخرى».

تلك النظرة الفاحصة في محتوى فقه الإباضيّة لم تتم بعد، حسبما أمل هذا العالم حدوثها، وبدلاً من ذلك فإنّ نظام التشريع والقانون (or) [أو] الأحكام عند الإباضيّة قد وجد اهتماماً محدوداً فقط من أولئك المؤرّخين الذين قاموا بدراسة الفقه الإسلامي، كما أنّ إشاراتهم وملاحظاتهم بهذا الصدد قد غلبت عليها صفة العمومية، وهي ذات قيمة علميّة متواضعة، وعلى سبيل المثال فإنّ المؤرّخ (اسكاكت) الذي كان على بيّنة من أنّ تأهيل أسس التشريع والأحكام في منهج الإباضيّة ينسب إلى التابعي: جابر بن زيد، قد خلص في ملاحظته حول هذا الموضوع إلى أنّ الإباضيّة قد استقوا قانون التشريع من المدارس المذهبيّة الإسلاميّة الأخرى (2).

ولكن وعلى النقيض تماماً ما ذهب إليه ذلك المؤرّخ فإنّ المدرسة الإباضيّة قد اتخذت لها من البداية مساراً متفرداً [أو] منفصلاً، ومستقلاً عن غيره، فلقد كان لها علماءها المستقلّون، وكان لها محصلّتها من السنة النبويّة المطهّرة وآثارها وآثار الصحابة ممّا تمسك به، واعتمد علماءها وساروا على نهجه في الفتوى واستنباط الأحكام، ويبدو أنّ اسكاكت [أو] أسكاخت، قد ذهب فيما ذكّر إليه من رأى للأسباب التالية:

أولاً: الافتقار للمعلومات حول أصل مصادر الأحكام والقوانين عند الإباضيّة، وثانياً تأثره بالنظرة العامّة التي تقول بأنّ الإباضيّة، إنّما هم

1 - على الهامش الجانبي: «تراجع في الأصل الإنجليزي».

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

فرع من الخوارج، وبما أن الإباضيّة كغيرهم من أهل السنة كانت لهم آراؤهم المخالفة لآراء الخوارج في بعض الثبوت بعينها فقد اعتقد إسكاكت بأنّ الإباضيّة قد استنتجوا آراءهم تلك من نتاج المدارس السنيّة الأخرى، وهوّ في ختام ملاحظته ينفى بصوره قطعيّة تاماً الحقيقة الثابتة من مصادر السمات والملاحم المشتركة بين مختلف المدارس المذهبيّة الإسلاميّة في مجال العلوم الشرعيّة والأحكام المستنبطة منها هي أقدم من نشأة تلك المدارس، "وهذا التباس وقع فيه ذلك المؤرخ".

ولنتابع في هذا الباب موضوع دراسة أصول العلوم الشرعيّة وأحكامها عند الإباضيّة، نشاطها وتطورها، كما سيتضمّن هذا الباب المسائل [أو] النقاط الرئيسيّة الأخرى.

والحقيقة التي لا نحتاج إلى تأكيد هي أنّه وفيما يتعلّق بالعلوم الشرعيّة والقوانين والأحكام المتعلّقة بها فإنّ المدرسة الإباضيّة؛ هي من بين أقدم مثيلاتها في هذا المجال إن لم تكن الأقدم (or) [أو] السابقة فيه ولمّا نزل على منهاجها القديم، ويرجع الفضل في إثراء فكر الإباضيّة بهذا التراث الديني إلى التابعي جابر بن زيد الأزدي وإلى تلميذه أبي عبيده مسلم بن أبي كريمة، والاعتقاد بإسناد هذا الدور العلمي الكبير إلى عبد الله بن إياض وبذله الجهد كبيراً أو صغيراً حسب رأي المؤرخ ماكرونالد؛ قد اتّضح أنّه غير صحيح، بل إنّ التقصيّ الدقيق أوضح عدم مساهمة عبد الله بن إياض في هذا المجال، وإنّما الخسر دوره الرئيسي في مجال العقيدة وفي المجال السياسي لترسيخ هوية المدرسة الإباضيّة ومبادئها وتعاليمها أمّا تأسيس نظام العلوم الشرعيّة وأحكامها عند الإباضيّة فصاحبها كما ذكرنا هو جابر بن زيد الذي كان من بين علماء الحديث إلى جانب باعه الطويل في الفتوى والأحكام الشرعيّة، ولأنّه كان واسع الأمام والمعرفة بالقرآن وبتفسيره وبسنّة رسول الله (ص) فقد كان مقنّراً لتأسيس مدرسة قائمة بذاتها، وأن يجذب إليه "مجموعة من الشخصيات التي كانت تمتلك مقومات أعمال الفكر وإتباع المهجبيّ" وأسبغ رعايته لهم كطلاب علم أولاً فأصبحوا فيما بعد خر خلف له، واهتموا بتطوير آرائه ونقلها إلى الأجيال التي بعد ذلك.

هَذَا وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الشَّكْلَ النَّهَائِيَّ لِنِظَامِ الْقَوَانِينِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ قَدْ اضْطَلَعَ بِتَنْظِيمِهِ وَتَصْنِيفِهِ تَلْمِيذُهُ أَبُو عَبِيدَةَ مُسْلِمُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ فِي الْأَعْوَامِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عَمْرِهِ ثُمَّ تَابَعَ هَذِهِ الْمَهْمَةَ تَلْمِيذُهُمَا الرَّبِيعُ بْنُ حَبِيبٍ يَظَلُّ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ هُوَ الْمَوْسَسُ وَالْمَفْكَرُ الرَّائِدُ لِلْمَدْرَسَةِ الْإِبَاضِيَّةِ، وَكَمَا عَلِمْنَا مِنْ خِلَالِ سِيرَتِهِ عَالِمًا فَقِيهًا فَابِتُّهُ إِلَى جَانِبِ اقْتِدَارِهِ مَقِيمًا مَتَمَكِّنًا (or) [أَوْ] ضَلِيعًا قَضَى مَعْظَمَ حَيَاتِهِ فِي هَذَا السَّبِيلِ، وَمَنْقَحًا لِآرَائِهِ مِنْ خِلَالِ اسْتِقْسَارَاتِهِ الْكَثِيرَةِ لِمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَتَابِعِيهِمُ الْبَارِزِينَ وَسَعِيهِ الْحَثِيثَ لِنَلْقَى الْعِلْمَ عَنْهُمْ، فَقَدْ كَانَ أَيْضًا فِي غَضُونِ ذَلِكَ حَلْقَةُ الْوَصْلِ الرَّئِيسِيَّةِ بَيْنَ أَتْبَاعِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَبَيْنَ أَوْلِيَاءِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالدَّورِ الْأَسَاسِيِّ فِي وَضْعِ الْمَلَامِحِ الْجَوْهَرِيَّةِ لِنِظَامِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَحْكَامِهَا مِنْ خِلَالِ صِيَاغَتِهِمْ آرَاءَ مُحْكَمَةٍ فِي الْمَسَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَنَقَلَ ذَلِكَ التَّرَاثَ مِنْ عُلُومِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْأَجْيَالِ الَّتِي عَاصَرْتَهُمْ.

(1) هَذَا الدَّورُ الْبَارِزُ الَّذِي قَامَ بِهِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ضَمَّنَ تَأْسِيسَهُ لِأَرْكَانِ الْمَدْرَسَةِ الْإِبَاضِيَّةِ، ثُمَّ اِهْتَمَّاهُ الْمَتَخَصِّصُ وَاضْطِلَاعُهُ بِمَسْئُولِيَّةِ الْإِفْتَاءِ وَتَوْضِيحِ الْآرَاءِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مَخْتَلَفِ الْمَسَائِلِ الدِّينِيَّةِ هُوَ مِمَّا وَعِيَهُ وَأَدْرَكَهُ بَعْمَقٍ أَوْ عَبِيدَةَ مُسْلِمُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ الْإِمَامُ الثَّانِي لِلْإِبَاضِيَّةِ، إِذْ يَقُولُ: «كُلُّ صَاحِبِ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفِقْهِ فَهُوَ ضَالٌّ؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ عَلَيْنَا بِجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ لَضَلَلْنَا»<sup>(2)</sup> وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ مِنْ حَيْثُ أَنَّ جَابِرًا قَدْ كَانَ أَسْتَاذَ مَدْرَسَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ وَسَبَاقَةٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ قَدْ أَكَّدَهَا وَأَثَارَ إِلَيْهَا عُلَمَاءُ سَنِيُونِ، فَأَبُو زَكْرِيَاءَ النَّوَوِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ: 676هـ/1277م، يَقُولُ فِي كِتَابِهِ تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَذَلِكَ فِي مَعْرُضِ حَدِيثِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَأَسَاتِذَتِهِ وَطَلَّابِهِ: «...وَاتَّقُوا عَلَى تَوْثِيقِهِ وَجَلَالَتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي أُمَّةِ التَّابِعِينَ

1 - عَلَى الْهَامِشِ الْجَانِبِيِّ:

« please check the text (last para page 83) to examine the arabic structure which the translator chose to formalate.»

إِذْ هُنَاكَ تَوْسُّعٌ مَحْدُودٌ لِفِكْرَةِ الْمُؤَلِّفِ، وَهَذَا أَيْضًا نَمُودَجٌ لِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفِ الطَّافِيفِ.

2 - مَسَائِلُ أَبِي عَبِيدَةَ مُسْلِمٍ، 37، الْجَبِطَالِي: شَرْحُ النَّوْنِيَّةِ، 47.

وفقهاءهم وله مذهب يتقرّد به»<sup>(1)</sup>.

لقد سبق أن أشرنا في إيجاز لسيرة جابر بن زيد ونشاطه مفتياً<sup>(2)</sup>، وسنتهم هنا في الأساس بالنظر في نهجه ومساهماته عالماً فقيهاً بأصول العلوم والأحكام الشرعيّة، ولحسن الطالع فقد قام تلامذته [أو] طلابه الإياضيّة بتسجيل آرائه الفقهيّة وما كان يدلي به من فتاوي، فكان هذا الأثر في مجمله بمثابة قاعدة صاكنة لمنهج المدرسة الإياضيّة في مجال القوانين والأحكام الشرعيّة.

كما وردت الإشارة آنفاً فإنّ مصادر الآراء الشرعيّة والأحكام التي كانت معلومة لجابر والتي يستند إليها هي القرآن الكريم والسند المطهّرة، ثمّ آثار الصحابة، ثمّ يأتي اجتهاده برأيه هو اعتماداً على القياس.

أمّا بالنسبة للمصدر الأوّل وهو القرآن الكريم فقد حاز جابر على قدر كبير، ومتكامل من المعرفة بتفسيره من أستاذه ابن عبّاس وهو الصحابي الجليل المعروف عنه بأنّه لا يداينه عالم في تفسير القرآن، والعالمان الآخران اللذان أخذ عنهما الكثير من علم التفسير هما مجاهد وقتادة، وقد كانت صلتهما وثيقة بجابر، وفي واقع الأمر فقد كان قتادة من بين تلامذة جابر<sup>(3)</sup>، وهذا ولعلّه من المثير للإنتباه أن نوّكّد هنا أنّهُ لم تكن هنالك كتابات إياضيّة خاصّة في علم التفسير في غضون المائة والخمسين سنة الأولى من التاريخ الهجري، والمصادر الإياضيّة أشارت إلى تفسير عبد الرحمن بن رستم<sup>(4)</sup>، وهو كما علمنا قد كان أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأوّل أئمّة الإمامة الإياضيّة في تاهرت، والتفسير الثاني المكتمل كتبه هود بن المحكمّ الهواري، وقد تمّ إعداده في هيئته النهائية في القرن الهجري

- 
- 1 - إذ يقول: «كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال، فلولا أنّ الله تعالى منّ علينا بجابر بن زيد (ض) لضلّنا»، ص: 113.
  - 2 - النووي: تهذيب الأسماء، ص: 140، Editor R. DOSY, Cairo.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

الثالث<sup>(1)</sup>، أمّا أهمّ تفسير كتبه عالم إياضي، فهو ما كتبه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني المتوفّي سنة: 570هـ<sup>(2)</sup>، وهو مؤلّف مفقود حتّى الآن، والعثور عليه سيكون له فائدة عظيمة للدراسات الإسلاميّة عامّة، والدراسات الإياضيّة خاصة.

تفسير الآيات القرآنيّة الكريمة المتعلّقة بالأحكام في المسائل الشرعيّة والدينيّة هو من بين ما تضمّنته المؤلفات الصالفة الذكر إضافة لاشتغالها على فتاوي وروايات جابر وأبي عبيدة، وتحديدًا فإنّ تفسير آيات الأحكام قد أفرّد لها مؤلّف خاص للإمام العُماني الصلت بن مالك المتوفّي يوم الجمعة في الخامس عشر من ذي الحُجّة لعام: 275هـ<sup>(3)</sup>، بعنوان "تفسير آيات الأحكام"، أو "تفسير الخمسمائة آية"<sup>(4)</sup>.

وبالنسبة لجابر فقد اكتسب قدرًا كبيرًا من المعرفة في مختلف العلوم الإسلاميّة من خلال تتلمذه كما ذكرنا على عدد كبير من الصحابة، ومنهم خاصّة ابن عبّاس وابن عمر وعبد الله بن مسعود والسيدة عائشة، والإمام الإياضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة كان يشيّد بالمكانة العلميّة الرفيعة للصحابة العلماء عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام، وكان يرى أهلية كلّ منهم لمنصب الأستاذيّة للمدرسة الإياضيّة وكان يصفهم بأنّهم بحور في العلم، ويضيف قائلاً: «...وعلى آثارهم اقتفينا، وبقولهم اقتدينا وعلى سيرتهم اعتمدنا وعلى منهاجهم سلطنا...»<sup>(5)</sup>.

كما سلف الذكر فإنّ المصادر الأساسيّة لاستنباط الآراء الشرعيّة على الطريفة التي انتهجها جابر بن زيد هي القرآن والسنة والآثار ثمّ الاجتهاد بالرأي الشخصي.

السنة المطهّرة تتمثّل في أقوال رسول الله (ص) وفي أفعاله وفي موافقته

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

لأفعال أو أقوال معيَّنة صدرت عن الصحابة رضوان الله عليهم، بهذا المعنى كانت السنة المطهَّرة مألوفة في مدلولها الواسع عند العلماء الإباضيَّة المتقدِّمين، وحسب اعتقاد المستشرق إسكاكت فهو يرى: "ان الأثر المبكر والموثوق به للأخذ بمفهوم "سنة رسول الله (ص) للدلالة على استعمالها السياسي الأصلي للربط المذهبي بينهما وبين أقوال أبي بكر، وأقوال عمر والخطاب القرآني قد ظهر في خطاب عبد الله بن إياض الذي وجهه إلى عبد الملك بن مروان في حوالي عام: 76هـ/695م<sup>(1)</sup>، وعلى كُُلِّ فإنَّ العلماء الإباضيَّة قد استعملوا عبارة "سنة رسول الله (ص) بمدلولها الفني وذلك منذ وقت مبكر من تأسيس مدرستهم، ولقد استعمله جابر بن زيد في جوابين من جواباته الـ"تي كتبها، ففي رسالة إلى عثمان بن يسار كتب إليه قائلاً: (2) «فأما الذي كتبت تسألني عنه من المملوك هل يصلِّي ولم يختنن، فإنَّ الختان من المسلمين سنة واجبة لا ينبغي شركها وتركه أن تتركوا لكم مملوكًا غير مختون، ولا يصلِّي حتى يختنن»<sup>(3)</sup>، وفي مسألة أخرى كتبها للحارث بن عمرو يقول فيها: «وأما ذكرت من رجل يصلِّي المغرب والعشاء والصبح ولم يقرأ فيهنَّ بشيء من القرآن فإنَّه أحبُّ ذلك إليَّ أن يقيه صلاته فيقرأ فيها فإنَّه قد ترك السنة فيها إلا أن يكون رجلاً أميًّا لا يقرأ واغتمَّ فإنَّ الله لا يكلف نفساً إلا وسعها»<sup>(4)</sup>، وذكر جابر عبارة "السنة" أيضًا في رسالته إلى طريق بن خليد في ملاحظته التالية: «وأما الذي ذكرت من أن إماماً يؤمُّ الناس في الصلاة الواجبة ولكنَّه حذف منها الركوع وتبه في ذلك المأمومون، فأنا أفضل أن يعيدوا صلاتهم تلك لأنَّهم بذلك قد خالفوا السنة»، ثمَّ أضاف قائلاً: «لا شيء من الأعمال يكون صحيحاً إذا كان معارضاً للسنة»<sup>(5)</sup>، والفقرتان الأخيرتان من أقول جابر قد وردتا أيضًا في كتاب "جابر بن زيد"

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كُُلِّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النص المقتبس مع النص المترجم للإنجليزية.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

برواية حبيب بن حبيب عن عمرو بن حريم عن جابر بن زيد<sup>(1)</sup>، وسالم بن نكوان وقد عاصر جابر بن زيد، يقول في معرض حديثه وَهُوَ يَتَنَاقَشُ آراءَ غلاة الخوارج: «لسنا ممن يزعم أنه أفاد اليوم علماً في القرآن والسنة حتى غلبهم»<sup>(2)</sup>.

ودور السنة كمصدر ثان لنظام التشريع عند الإباضية قد أشار إليه وبوضوح أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة خليفة جابر وذلك في عدة أقوال له:

<sup>(3)</sup>1- دستور المسلمين هو القرآن، ومرشدهم سنة رسول الله (ص)، ولا يحب المسلم إلا ما أحب الله ورسوله<sup>(4)</sup>.

<sup>(5)</sup>2- وفيما يتعلّق برأى الإمام وما إذا كان في مقهور المتفكّهين في الدين من أفراد المجتمع تغيير ذلك الرأي أم لا يقول أبو عبيدة: «إذا كان حكمه مخالفاً للكتاب والسنة وكان ممّا يعلم من القرآن والسنة يجب عليهم أن يغيّروا هذا الحكم المخالف للكتاب والسنة»<sup>(6)</sup>

3- إنّ السلامة من الوضع فيما جاء من عند الله ورسوله رمز الخطر الوقوع في مصادمة معهما تقتضي أنّ لا أحد على الحقّ إلا إذا كان موافقاً لهما<sup>(7)</sup>.

وسار تلاميذ أبي عبيدة على منواله، وذهب بعضهم إلى درجة معارضة آرائه وآراء بعض العلماء الإباضية السابقين كجابر بن زيد وذلك في بعض المسائل التي وردت بشأنها سنة صحيحة حتى ولو كان الراوي من غير

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

5 - على الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كلّ الاقتباسات وربما للتأكد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.

6 - موضوع الإحالة غير موجود.

7 - موضوع الإحالة غير موجود.

فقهاء الإباضيَّة<sup>(1)</sup>، إذ وَعَلَى سبيل المثال وفيما يختصّ بمسألة الحيازة فقد ورد عن جابر بن زيد أنّه ولاحترازه الشديد أضاف عشر سنوات أخرى عَلَى العشر التي حدّدها رسول الله (ص)، كفترة زمنيَّة قصوى لحيازة حقّ ملكية الأرض أو العقار إذا لم يطالب المالك الأصلي بحقه في ذلك المال في غضون تلك العشرين سنة، ولكن عبد الله بن عبد العزيز وهو أحد تلامذة أبي عبيدة قد عارض رأى جابر اعتماداً عَلَى سنة رسول الله (ص) برواية مدينة وأخرى كوفية، وفيها تمّ تحدد فترة الحيازة بعشر سنوات فقط<sup>(2)</sup>، ولقد ختم حجّته قائلاً:

<sup>(3)</sup>«ما قاله الرسول (ص): هو فقط الصحيح والسنة يجب أن تأتي أولاً شريطة أن تكون بسند صحيح عَلَى لرسول (ص) وبالسنة للقياس فعلى الرغم من احتمال كونه قديماً لكنّه لا يمكن أن ينسخ السنة»<sup>(4)</sup>.

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - عَلَى الهامش الجانبي: «نص»، وترد هذه العبارة في كُُلِّ الاقتباسات وربّما للتأكّد من مطابقة النصّ المقتبس مع النصّ المترجم للإنجليزية.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.

## إسهام الإباضية في علم الحديث

لقد اشتهر الإباضية بشغفهم البيّن وحرصهم الشديد على التمسك سبنة رسول الله (ص) واتّباعها، لذا كان اعتقادهم اعتقاداً يقيناً راسخاً من أنّهم هم الموالون الحقيقيون للسنة، وكان انعكاس ذلك واضحاً في نوعية اسهامهم في علم الحديث، واستعمال لفظ "السنينون" بمدلولها الخصوصي الذي يعني الإشارة إلى المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة هو استعمال لا يقبله الإباضية على أساس أنّهم هم أيضاً من أتباع السنة إن لم يكونوا هم الأتباع الحقيقيين لها دون منازع<sup>(1)</sup>، ولقد ساهموا في علم الحديث بتصنيفهم الدقيق لأحاديث رسول الله (ص)، ونتج عن ذلك التصنيف إعداد مسندهم الخاص من الحديث الشريف، لقد كان أولئك الفقهاء الأوائل الذي قامت المدرسة الإباضية على أكتافهم من بين علماء الحديث البارزين أمثال: جابر بن زيد وأبو نوح صالح بن نوح الدهان وحيان الأعرج، وأسماء هؤلاء مشهورة بمكانتها الرفيعة في مجال الأسانيد الإسلامية للحديث الشريف، وهم من أهل الثقة من بين رواة الحديث<sup>(2)</sup>، وعلماء آخرون أمثال أبي سفيان محبوب بن الرحيل قد كانوا أيضاً من أهل الحديث ورواته الذين يثق فيهم السنيون رغم أنّهم لم يكونوا بنفس مستوى الشهرة التي كانت للعلماء الذي سبق ذكرهم<sup>(3)</sup>، هذا وبجانب نقله للحديث عن رسول الله (ص) ساهم جابر بن زيد بتدوين أحاديث عن رسول الله (ص) برواية بعض من معاصريهم من الصحابة والتابعين<sup>(4)</sup>، كما أذن لتلامذته بتدوين أحاديث (or) [أو] بسنده<sup>(5)</sup>، والمصادر الإباضية تتضمن إشارة مكررة لَمَّا ذكر أبو زكرياء الوارجلاني في كتابه "السير" عن "ديوان جابر بن زيد" الذي كان موجوداً

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

في مكتبة الخليفة العباسي هارون الرشيد<sup>(1)</sup>، وحاجي خليفة ذكر كذلك ديوان جابر بن زيد<sup>(2)</sup> ولكن لم يورد معلومات عنه أو عن مصدره هو عنه، وبما أنه لم يذكر في كتابه: "كشف الظنون" أي مصادر إياضية عن هذا الموضوع فمن المحتمل أنه استقى تلك الإفادة عن ديوان جابر من مصادر غير الإياضية وليست معروفة لنا، ولعلّ في ذلك ما يؤيد موضوعية المعلومات الإياضية عن ذلك الديوان، ويجدد الأمل مستقبلاً باكتشاف أحد أقدم المؤلفات حول الحديث الشريف<sup>(3)</sup>، هذا وتأكيد للإشارة التي مفادها أن جابر قام من خلال جهده الخاص بتدوين أحاديث بنوية وآراء فقهية عن الصحابة وزعن بعض رفقاءه من العلماء الفقهاء وأهل العلم ينبغي النظر بعين الاعتبار للإفادة التالية:

عن أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي، عن شيخ يخلفتان بن أيوب، عن أبي محمد قال: «ديوان جابر الذي كان في ملك أبي عبيدة ثم آل إلى الربيع بن حبيب ثم إلى أبي سفيان محبوب ثم إلى ابنه محمد بم محبوب ومنه نسخت تلك الكتب والمؤلفات في مكة»<sup>(4)</sup>، هذا ولعلّه من الفائدة بمكان أن نذكر هنا بأن كلمة "ديوان" قد وردت في تاريخ الأخبار والأحداث عند الإياضية بمعنى مجموعة من الكتب وليس كتاباً واحداً مفرداً<sup>(5)</sup>.

من ناحية أخرى نجد أن المصادر التاريخية الإياضية المتقدمة قد تضمنت ملاحظات قليلة عن القوانين والأسس التي كان ينظر إليها بعين الاعتبار عند رواية وتدوين الأحاديث، يقول أبو عبيدة: <sup>(6)</sup>«لا يؤثر تغيير موقع كلمات في أحاديث رسول الله (ص) أو في آثار صحابته من خلال تقديمها أو تأخيرها إذا كان المعنى هو نفسه وسئل أبو عبيدة ماذا عن إضافة أو حذف أحرف كالواو أو الألف إذا لم يتأثر المعنى؟ أجاب: أرجو أن لا

- 
- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 5 - موضوع الإحالة غير موجود.
  - 6 - هذه ترجمة وليست نصاً أصلياً.

يؤثر في ذلك»<sup>(1)</sup>.

وفي معرض حديث آخر لأبي عبيدة عمّن يتلقّى العلم، يقول: «لا ينبغي أن تأخذ العلم من مبتدع لأنّه يدعو إلى بدعته ولا من سفيه يدعو إلى سفيهه ولا ممّن يكذب وإن كان يصدق في فتواه ولا ممّن لا يفرز مذهبه من مذهب غيره»<sup>(2)</sup>.

هَذَا وَيَبْدُوا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ غَيْرُ ضَرُورِيَّةٍ لِلْعُلَمَاءِ لِتَدْرِيسِ الْعِلْمِ، وَالْمَقْصُودُ بِالْعِلْمِ هُنَا الْفِقْهُ، وَتَحْدِيدًا الْأَحْكَامَ وَالْأَرْاءَ الشَّرْعِيَّةَ، لَقَدْ سَأَلَ أَبُو عَبِيدَةَ عَنِ الشَّخْصِ الَّذِي لَا يَحْفَظُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، هَلْ هُوَ ثِقَةٌ لِتَدْرِيسِ الْعِلْمِ؟ أَجَابَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! أَكُلُّ النَّاسِ يَحْفَظُونَ الْحَدِيثَ؟ بَلْ يُوْخَذُ الْعِلْمُ عَنِ الثَّقَاتِ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ حَدِيثًا حَدِيثًا وَاحِدًا»<sup>(3)</sup>.

وفيما يختصّ بالأخذ والإقرار بالأحاديث الشريفة فهناك مرجعان، الأوّل ورد في "مسائل أبي عبيدة"، لقد سئل ما إذا على السائل أن يتبع فتوى من شخص ثقة اعتمد على نص حديث برواية صحابي، قال: «إذا عرفت عملت به وإلا فلا»، لا ينبغي أن تأخذ من شخص يحدث بكلّ ما سمعه وإنّما يجب عليك أن تميّز الآراء الجديرة بالثقة وتسال عمّن يملك معرفة أكثر منه»<sup>(4)</sup>.

وفيما يتعلّق باتخاذ الكتب كمراجع للإدلاء برأى أو فتوى، فقد سئل أبو عبيدة عن مسألة ذلك الرجل العالم يقول لرجل آخر: «هذا كتابي خذه وانسخه ثم حرّر الفتاوي عن رضا وقناعة»، فقال: «لا يُسمح للرجل أن تحرّر فتواه إلا إذا كان عالمًا أخذ عن عالم آخر أو كان عصامي التكوين يقرأ الكتب واحدًا واحدًا»<sup>(5)</sup>، وعبد الله بن عبد العزيز دلّ بأنّ الأحاديث التي كانت متداولة بين الصحابة والتابعين، يجب عدم الأخذ بتلك الأحاديث التي

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود، ترجمة وليس نصًّا أصليًّا.

5 - موضوع الإحالة غير موجود.

هي غير معروفة تماماً أو هي من الشواذ<sup>(1)</sup>. هذا ولقد ظهر الكثير من تلك النظم والقواعد المتبعة في علم الحديث فيما بعد ذلك في مؤلف أبي يعقوب الوارجلاني المسمى "العدل والانصاف"، والغالبية العظمى من تلك النظم قد وردت كذلك في كتب السنين في (قرطبة)، وتلقى البعض الآخر من العلماء الإباضيّة المتقدّمين أمثال: محمّد بن محبوب وأبيه أبو سفيان فقد كانت مؤلّقاتهما في حوزته حسبما وردت الإشارة إلى ذلك<sup>(2)</sup>.

ولعلّ من الأهميّة بمكان أن نشير هنا إلى أنّ النظم التي انتهجها الإباضيّة لتدوين ونقل الآراء الفقهيّة من مصادرها من الكتب المعتمدة كمراجع موثوق بها ومتخصّصة في هذا المجال تلزم بأن يكون الكاتب ثقة، والذي يملّي يجب أن يكون ثقة كذلك، وسجب أن يقوم ثقاته [كذا] بمراجعة مصدر الإملاء وثقته [كذا] آخران لمراجعة النص المنقول<sup>(3)</sup>.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

## الجامع الصحيح

المؤلف الذي يحتوي على مجموعة الأحاديث الشريفة لمعتمده عند الإباضية طبقاً للمعنى الفني الحقيقي للحديث الشريف هو "الجامع الصحيح" أو كما يطلق عليه "مسند الربيع بن حبيب"، والنسخة الأصلية من هذا المسند غير متداولة بين العامة، والنسخة الحالية قد قام أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني بإعدادها تنظيمًا وتصنيفًا من النسخة الأصلية وسمّاها "ترتيب المسند"<sup>(1)</sup>، وهذه النسخة تشتمل على روايات إضافية أضافها أبو يعقوب وقد أفرد لها الجزئين الثالث والرابع من طبعات المسند الحالية، وتحتوي على روايات عن الربيع، حول أسئلة في العقيدة ضمنت كلها في الجزء الثالث، وأمّا الرابع فقد اشتمل على روايات أبي سفيان محبوب بن الرحيل عن الربيع، وروايات الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم عن أبي غانم بشير بن غانم الخراساني كما يحتوي أيضًا على أحاديث رواها جابر بن زيد، وفي تلك الأحداث لم يذكر الرواة بين رسول الله (ص) وبين جابر بن زيد.

أمّا بالنسبة لجزئين الأوّل والثاني للمسند فيحتويان على أحاديث حول مسائل وأمور شرعية ودينية وهي مرتبة على ما يأتي النسق نفسه الذي اتبعه علماء الحديث السنيين، والأسناد في الجزئين على النحو التالي:

صالربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن صاحب رسول الله (ص) والصحابة هم في معظم تلك الروايات: ابن عباس، أبو غريرة، أبو سعيد الخدري، أنس بن مالك، السيدة عائشة وآخرون وحيثما أشار إليه الربيع بن حبيب فإنّ الأحاديث التي جمعت بسند السيدة عائشة وعددها ثمان وستون حديثًا، وبسند ابن عباس عددها مائة وخمسون حديثًا، وبسند أنس بن مالك: أربعون حديثًا، وبسند أبي سعيد الخدري: ستون، وبسند أبي هريرة: اثنان وسبعون، وأمّا آثار جابر من المراسيل فعددها مائة وثمانون، ولأبي عبيدة ثمانية وثمانون حديثًا، رويت بالأسانيد التالية:

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

أ- الربيع عن أبي أيُّوب الأنصاري عن رسول الله (ص).

ب- الربيع عن عبادة بن الصامت عن رسول الله (ص).

ج- الربيع بن مسعود عن رسول الله (ص) والعدد اثنتان وتسعون حديثًا، بقیة الأحاديث التي أضافها أبو يعقوب في الجزأين الثالث والرابع عددهما مائتان وواحد وستون حديثًا، وتجدر الإشارة إلى أن الأحاديث التي جمعها الإباضيَّة أقلُّ عددًا بكثير من تلك التي جمعها السنويون، والربيع نفسه قد أكَّد على الحقيقة المعروفة من أحاديث الموثقة الأسانيد عددها أربعة آلاف، تسمة حديث في أصول الدين وبقية الأحاديث في الآداب والأخبار<sup>(1)</sup>، بينما بلغ عدد أحاديث التي جمعها الإباضيَّة بما في ذلك تلك التي أضافها أبو يعقوب خمسة وألف حديث.

محتوى سند الربيع هو المحتوى نفسه الذي ورد في مجموعة أحاديث أهل السنة، ومعظم الأحاديث التي رواها الربيع بن حبيب، قد أوردها رواة السنين سواء بالألفاظ نفسها أو باختلافات طفيفة، وقد أثار السالمي في تعليقه على المسند إلى الأحاديث التي رويت في شكل فريد ليس موجودًا في مجموعة السنين، ومع ذلك فهناك أحاديث متشابهة وتعبّر عن المعنى نفسه ويطلق عليها فنيًا: (الشواهد) ومن ناحية أخرى اشتملت مجموعة معتمدة عند الإباضيَّة على عدد من الأحاديث روي كلُّ منها بإسناد موثوق به من خلال سلسلة إسناد إباضيَّة، وعلى الرغم من ذلك لا يقبل بها ضمن مجموعة معتمدة عند السنين ويقولون: «إنَّ بعضها ممنوع، والحال ينطبق أيضًا على عدد من الأحاديث الصحيحة الموثوقة الإسناد لدى السنين ولكنها في نظر الإباضيَّة هي ليست سوى أكاذيب بيئة أو بدع<sup>(2)</sup> فلسفة التشريع (or) [أو] الفقه وأحكامه ونظام التشريع<sup>(3)</sup> عند الإباضيَّة وعلى مدى تاريخه الطويل إعتد على المادَّة التي تمَّ جمعها طبقًا لروايات علماء وفقهاء

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - إنَّ المؤلَّف يستخدم كثيرًا كلمة: (Jurisprudence) فهل فلسفة التشريع؟؟ أو معنى آخر نرجو التأمل.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

الإباضيّة، ولم يعتمد في أيّ من مراحلها على الأحاديث التي جمعت وفقاً لأسانيد السنين، وفي الحقيقة فإنّ أوّل عالم من الإباضيّة من شمال إفريقيا يذكر في مؤلّفاته بعضاً من الأحاديث المعيّنة من المجموعة الكعتمدة عند السنيّين هو أبو يعقوب الوارجلاني وذلك في القرن السادس الهجري<sup>(1)</sup>، هذا لم يكن الإباضيّة يشجّعون الاستشهاد بتلك الأحاديث حتّى عهد البرادي الذي نصح الطلاب الإباضيّة في معرض رسالته المسمّاة: "الحقائق" بعدم الاطلاع عليها ما أمكن ذلك<sup>(2)</sup>، وعليه فمن المتحقّق منه أنّ نظام التشريع وقوانينه عند الإباضيّة قد تأسّس فقط على محتوى المادّة التي جمعها وأقرّها فقهاء وعلماء الإباضيّة، وعلى مدى تاريخ انحصار تطوّر ذلك النظام في حدود معطيات تلك المادّة [أو] الآثار، وطبيعة فلسفة التشريع في مذهب الإباضيّة يمكن فهمها بوضوح فقط من خلال دراسة أصول تلك الآثار، ودراسة سير العلماء الذين أخلصوا في بذل الجهد لجمعها والتحقّق من صحتها، ÷ إضافة إلى دراسة المواقف والأحداث التي قادت إلى تأسيس الحركة الإباضيّة وأدت دوراً في مراحل نموّها وتطوّرها، والإباضيّة يرون أنّ الفترة التاريخيّة التي تشمل عهدي الخليفين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، هي الفترة المثاليّة لحياة ودين المجتمع الإسلامي، وبعدها ظهرت البدع والأطماع الدنيويّة والسياسيّة، ومن ثمّ كان هدف الحركة الإباضيّة هو التمسك بالنهج الذي أرساه رسول الله (ص) وسار على نهجه خليفته من بعده، وتبعهما أهل الاستقامة من الصحابة، وكانت غايتهم السامية هي إعادة بناء المجتمع المسلم على أسس ذلك المنهج القويم كما كان الحال في الحقبة المثاليّة الأولى، ومن هذا المنطلق إختار الجيل المؤسس للمذهب الإباضي مصادره العلميّة من أهل الكفاية في العلم والتبحر فيه من الصحابة ممّن عاصروهم من التابعين، وعلى ذلك كانت روايتهم للحديث والآثار فقط عن أولئك الرجال الذين تيقنوا من أنّهم مسلمون من أهل العلم والاستقامة.

وبالنسبة للصحابة فبقدر ما كان بعضهم محل التقدير والمكانة الرفيعة عند

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

الإباضيّة كان بعضهم محلّ النقد، وحبّة الإباضيّة حول هذه المسألة قد وضّحها الوارجلاني في كتابه: "العدل والإنصاف"، وهناك مؤلّف خاص أفرد لهذا الموضوع أيضاً وهو كتاب التخصيص للفتية العماني أحمد بن عبد الله النزوي المتوفّي سنة 557هـ، وبالنسبة للتابعين والتابعين لهم على التوالي وحتى ظهور المذاهب الإسلاميّة الأخرى فقد تأثروا جميعاً بظروف الحرب الأهليّة التي اجتاحت مجتمعهم الإسلاميّة، وكانوا إمّا أنصاراً لعلي (الشيعة)، أو أعواناً لمعاوية ولسلالة الأمويين الحاكمة، أو كانوا متعاطفين مع فرقة المحكّمة، وكانت كلّ فئة ترعى أنصارها بمعزل عن الأطراف الأخرى<sup>(1)</sup>، هكذا صنّف الإباضيّة المجتمع الإسلاميّة في تلك الفترة [أو] المرحلة التي سادتها الانقسامات والاهواء، ولذا كانوا أكثر حرصاً في انتقائهم للعلماء والفقهاء الذين أخذوا عنهم العلم بسنة رسول الله (ص)، وتعلّموا منهم أيضاً آثار الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ثمّ أضافوا هذا المصدر العلمي إلى مصدر هدى القرآن الكريم ومضوا قدماً في إتباع فلسفة منهجيّة لتأسيس علم التشريع بأحكامه وقوانينه.

في هذا الإطار شرع المتقدّمون من العلماء الإباضيّة في الكتابة والتدوين وإعداد المراجع، فكانت أعمالهم الفكريّة تلك هي خزينة المادّة الأصليّة لنظام التشريع على مذهبهم، وأهمّ تلك الكتب والمدونات هي:

- 1- الجامع الصحيح للربيع بن حبيب.
- 2- المدوّنة لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني.
- 3- الديوان المعروف على علماء الإباضيّة.
- 4- روايات ضمام، جمع وتنظيم أبو صفرة عبد الملك ابن صفرة.
- 5- فتيا الربيع بن حبيب<sup>(2)</sup>.
- 6- كتاب نكاح الشغار لعبد الله بن عبد العزيز.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

7- وكتب وجوابات الإمامين: جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة<sup>(1)</sup>.

هذا وعلى وجه التقريب فإنَّ كلَّ المؤلِّفات والكتابات الإباضيَّة التي تلت بعد ذلك قد ارتكزت على الإرث العلمي المذكور، ولا تزال مخطوطاته موجودة وباقية في هيئة سليمة، ولم تجر حولها أيَّة دراسة أكاديمية قطّ، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ القيام بخطوة كهذه تتضمَّن بحثًا نقديَّة هادفة ونظرة علميَّة فاحصة لتلك المخطوطات ستكون ذات فائدة عظيمة، وربَّما تحقيق فائدة إيجابیَّة هنا من خلال إعطاء لمحات مختصرة عن بعض تلك المخطوطات على أمل أن تكون هذه الخطوة حافزة لإعداد بحث مستفيض عنها.

1- المدونة لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني: هنالك دليل لا ريب فيه هو أنَّ الآراء والأفكار الإباضيَّة قد وصلت إلى منطقة خراسان في وقت مبكر من تاريخ الحركة<sup>(2)</sup>، فقد ظهرت في القرن الهجري الثاني مجموعة من العلماء الإباضيَّة تنتهي سلسلة كلِّ اسم منهم بالاسم: "الخراساني" سواء بالميلاد أو بالإقامة، وشارك أولئك العلماء في تدوين وحفظ التراث الفكري للإباضيَّة على عهد أبي عبيدة<sup>(3)</sup>، ومن بين المتأخِّرين أبو غانم مؤلِّف المدونة، لقد عاش في الفترة بين بداية النصف الثاني من القرن الهجري الثاني وبين العقود الأولى من القرن الهجري الثالث (حوالي: 765م-860م)، وكتب مؤلفه المذكور في نهاية القرن الهجري الثاني، ثمَّ سافر إلى تاهرت ومعه نسخة من المدونة وقدمها كما ذكرنا سابقًا إلى الإمام الرستمي الثاني: عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم المتوفِّي سنة: 190هـ/805م<sup>(4)</sup>، ورحلته تلك إلى شمال إفريقيا قد كانت في الحقبة الأخيرة من القرن الهجري الثاني وفي آخر عهد إمارة عبد الوهَّاب.

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

## محتويات المدونة:

تحتوي مدونة أبي غانم على آراء وروايات العلماء الإباضيّة التالي ذكرهم:

- الربيع بن حبيب.

- أبو المهاجر هاشم بن المهاجر.

- أبو المؤرّخ عمرو بن محمد.

- أبو سعيد عبد الله بن عبد العزيز.

- أبو غسان مخلد بن العمرّد.

- أبو أيّوب وائل بن أيّوب.

- حاتم بن منصور.

ابن عباد المصري.

أبو سفيان محبوب بن الرحيل، ولقد درس كلّ هؤلاء على أبي عبيدة في البصرة، وكانوا من مناطق مختلفة وكذلك تفرّقوا فيما بعد في مختلف الأمصار الإسلاميّة، فأبو المؤرّج من بلدة قُدَم في اليمن<sup>(1)</sup>، وأبو المهاجر هاشم بن المهاجر من حضرموت وسكن الكوفة<sup>(2)</sup>، وابن عباد المصري جاء من مصر ورجع إلى دياره<sup>(3)</sup>، بعد إكمال دراسته في البصرة، وأبو غانم عند مروره بمصر في طريقه إلى تاهرت سجّل بعض الآراء لابن عباد برواية بعض الإباضيّة في مصر وضمن تلك الآراء في المدونة<sup>(4)</sup>، وأبو أيّوب وائل بن أيّوب هو أصلاً من حضرموت<sup>(5)</sup>، ولقد شارك في حروب عبد الله بن يحيى الكندي في اليمن وفي تأسيس الإمامة الإباضيّة في حضرموت،

- 1 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 2 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 3 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 4 - موضوع الإحالة غير موجود.
- 5 - موضوع الإحالة غير موجود.

كما وكان ضمن الوفد الذي ذهب إلى مكة نيابة عن الجماعة الإباضية التي كانت معارضة لعبد الله بن سعيد إمام حضرموت، ولمناقشة الشقاق الذي وقع بين الجماعتين الإباضيتين في ذلك الإقليم وتسويته تحت رعاية الأئمة الإباضية في البصرة<sup>(1)</sup>، واستقر أبو أيوب أخيراً في البصرة وأصبح رئيس الشيوخ الإباضية في العراق بعدما غادر الربيع بن حبيب إلى عمان<sup>(2)</sup>، أمّا بالنسبة إلى حاتم بن منصور وعبد الله بن عبد العزيز وأبي غسان مخلد بن العمرّد فلم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن المصادر التي ينتمون إليها ولكن من المؤكّد أنّهم عاشوا في البصرة وأخذوا العلم عن أبي عبيدة وساهموا بقدر كبير في تطوير وترسيخ نظام التشريع في المذهب الإباضي، ومنهم خاصة عبد الله بن عبد العزيز.

لقد شرع أبو غانم في تأليفه للمدونة معتمداً في مصادره على العلماء الذين ورد ذكرهم سواء من خلال تدوينه لمّا سمعه منهم مباشرة من آراء أو سواء عن وسيط سمع منهم<sup>(3)</sup>، والمدونة تتكوّن من اثني عشر كتاباً<sup>(4)</sup>، وكل كتاب منها يحتوي على عدد من الأبواب، والكتب هي بالعناوين التالية:

1- كتاب الصلاة.

2- كتاب الزكاة.

3- كتاب الصيام.

4- كتاب النكاح.

5- كتاب الطلاق.

6- كتاب الهبة والهدية.

7- كتاب الوصايا.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - موضوع الإحالة غير موجود.

8- كتاب الديّات.

9- كتاب الأشربة والحدود.

10- كتاب الشهادات.

11- كتاب البيوع.

12- كتاب الأحكام والعقدية.

والمخطوطة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة تضيف كتاباً آخر للمدونة بعنوان: "البيوع والأفضية".

هذه المدونة قد غطت كافة الموضوعات التي تناولها العلماء والفقهاء الإباضية في العصر الذهبي لنظام التشريع والأحكام عند الإباضية، ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن المدونة قد احتوت فقط على نزر يسير حول موضوع الحج<sup>(1)</sup> وهو موضوع عادة ما يجد اهتماماً موسعاً في مؤلفات متوسعة كالمدونة، على أن هذه المدونة المعينة قد عرضت بوضوح الآراء الإباضية حول مسائل دينية وفقهية، كما أوردت الاختلاف بين وجهات نظر العلماء الإباضية فيما بينهم والحج التي ساقها كل فريق منهم، كما سجلت أيضاً آراءهم حول الاختلافات المعروفة بين آراء علماء السنة، وإلى جانب ذلك فقد تضمنت المدونة أيضاً عرضاً جلياً لتطور نظام التشريع عند الإباضية في الفترة الزمنية المبكرة التي شهدت اهتمام علمائهم بتأسيس هذا النظام واستكمال هيكله العام وما احتواه من تفاصيل دقيقة.

هذا ولقد كان اهتمام علماء الإباضية اهتماماً كبيراً بالمدونة، وكتبوا عنها التعقيبات باللغتين العربية والبربرية<sup>(2)</sup>، وبعض المصادر الإباضية تذكر تعقيباً لأحدهم واسمه: أبو القاسم بن ناجد أو ناصر<sup>(3)</sup>، وآخر التعقيبات كانت لمحمد بن يوسف اطفيش، فلقد أعاد ترتيب محتوياتها وضمها بعض

1 - احتمال سقوط بعض الأوراق واردة؛ لأنه لا يُعقل أن لا تشتمل المدونة على

موضوع هام كهذا، والسياق يدل على وجوده. (م.ن: 425)

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

الإضافات، وحسب رأي العالم العُماني محمّد بن عبد الله السالمي فإنّ إنجاز أطفَيْش يسمّى: "المدوّنة الكبرى"، والمدوّنة الأصليّة لأبي غانم تميّز بالاسم: "المدوّنة الصغرى"<sup>(1)</sup>، ويشار إليها في المصادر الإباضيّة أيضًا بالاسم: "الغانمية"<sup>(2)</sup>.

## 2- الديوان المعروف على علماء الإباضيّة:

لقد اكتشفتُ أثناء قيامي بإعداد هذه الدراسة في جربة نسختين من هذا الكتاب، وهما لك نسخة ثالثة بدار الكتب بالقاهرة<sup>(3)</sup>، وهذه النسخة الأخيرة قد جيء بها أصلاً من جربة، ومن المحتمل أنّ دار الكتب المصريّة قد تحصّلت عليها من مجموعة المخطوطات لدى (وكالة الجاموس) وهي مؤسّسة أوقاف خيريّة أنشئت لمساعدة الطلاب الذين يقدّمون للدراسة بالأزهر بمصر، [من الإباضيّة]<sup>(4)</sup>.

وكتاب الديوان المعروف يتكوّن هو الآخر من مجموعة من الكتب كما ويحتوي أيضًا على العديد من الروايات من مصادر مختلفة لعلماء وفقهاء من البصرة والكوفة والمدينة المنورة، وتتناول هذه الروايات موضوعات فقهية متعدّدة.

العنوان المشار إليه لهذا الديوان هو العنوان نفسه الذي يرد ذكره في بعض الأجزاء من المخطوطة التي اشتملت عليه، والمؤلف الذي قام بإعداد هذا الديوان غير معروف، إلّا أنّ بعض المصادر ترجّح أنّه هو أبو غانم مؤلّف المدوّنة وذلك بالنظر إلى أنّ معظم مصادر الروايات التي يحتويها هذا الديوان الضخم هي المصادر نفسها التي ذكرتها مدوّنة أبي غانم.

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

4 - يشار إليها أحياناً بدار ابن طولون نسبة إلى الحي الذي كانت موجودة به هذه الدار، وقد كانت موجودة إلى وقت قريب (أوائل الستينات) يراجع كتاب القطب إن تعرف الإباضيّة يا عقبي. (م،ن)

## قائمة محتويات الديوان المعروض:

كتاب أقوال قتادة: ويتكوّن هذا الكتاب من سبعة أجزاء، وقد خصّص في معظمه لروايات التابع قتادة بن دعامة السدوسي<sup>(1)</sup>، ويتناول موضوعات [كثراً] تشريعيةً مختلفة وموضوعات دينيةً أخرى، ويمكن أن توجز مواد الأجزاء السبعة كما يلي:

الجزء الأوّل يشتمل بصورة رئيسية على الروايات والآثار المتعلقة بالوضوء والصلاة.

الجزء الثاني: للروايات المتعلقة بموضوعات الزكاة والصيام والأشربة، وروايات عن الربيع بن حبيب حول النكاح.

الجزء الثالث: حول النكاح والطلاق، وروايات عن الربيع بن حبيب حول موضوعات مختلفة.

الجزء الرابع: حول الأشربة أيضاً بجانب موضوع الذبائح وكذلك الصيد... إلخ.

الجزء الخامس: روايات حول موضوعات النكاح عن عمرو بن حريم عن جابر بن زيد.

الجزء السادس: روايات عن قتادة وتتعلّق بالبيوع والنكاح والحجّ، وروايات أخرى عن عمرو بن دينار عن جابر بن زيد حول النكاح.

الجزء السابع: روايات عن قتادة حول موضوع الوضوء.

يلي الجزء السابع المشار إليه أعلاه كتاب: جابر بن زيد حول موضوع الصلاة برواية: حبيب بن أبي حبيب<sup>(2)</sup>، وفي بعض النسخ يرد كتاب جابر هذا ضمن الجزء السابع من كتاب أقوال قتادة المذكور.

هذا وسيلاحظ الباحث أن ترتيب الكتب التي تضمّنتها مخطوطات الديوان المعروض يختلف بين نسخة وأخرى لذات المخطوطات، والقائمة التالية تتضمّن الكتب التي اشتملت عليها هذه المخطوطات أو بعض منها بغضّ النظر عن ترتيبها في كلّ واحدة منها على حده:

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

- 1- الجزء الأول خاص بآثار الربيع (روايات ضمّام) (1).
  - 2- الجزء الثاني يشتمل فئياً [أو] فتاوي الربيع بن حبيب (2).
  - 3- الجزء الثالث يشتمل على كتاب نكاح الشغار لعبد الله بن عبد العزيز وهو من أربعة أجزاء.
  - 4- الجزء الرابع يشتمل على كتاب النكاح لجابر بن زيد (3).
  - 5- الجزء الخامس يشتمل على: "كتاب الصيام"، ويبدأ بروايات أبي المؤرخ عن أستاذه أبي عبيدة وهو في شكل أسئلة وأجوبة، ثم يلي ذلك "باب اختلاف العلماء في الصيام" وترد فيه آراء متباينة للعديد من العلماء حول الموضوع، مع توضيح الآراء التي أقرها علماء الإباضية خاصة آراء أبي عبيدة.
  - 6- الجزء السادس يشتمل على: "كتاب العمال وما يلي على النص"، والكتاب في معظمه يتحدث عن الإدارة وعن واجبات الأئمة والحكام وعلاقاتهم مع رعيّتهم، ويبدو أنّ هذا الكتاب هو الجزء الأول من كتاب: "الإمامة" الذي يتناول موضوعات مماثلة لما ذكر، لكنّه مفقود في النسخة القاهرة وغير مكتمل في المخطوطات البارونية.
- كتاب كفّارات الإيمان.

## (يتبع في الكتاب الثاني ص: 102).

ثمّ بحمد الله وعونه تصفيف هذا الجزء على الساعة:

**11.20 دقيقة، من يوم الأحد 27.04.97. بيد الأخ:**

1 - موضوع الإحالة غير موجود.

2 - موضوع الإحالة غير موجود.

3 - موضوع الإحالة غير موجود.

إسماعيل ابن عيسى  
آت يسجن - غرداية، الجزائر.

(1)

---

1 - موضوع الإحالة غير موجود.